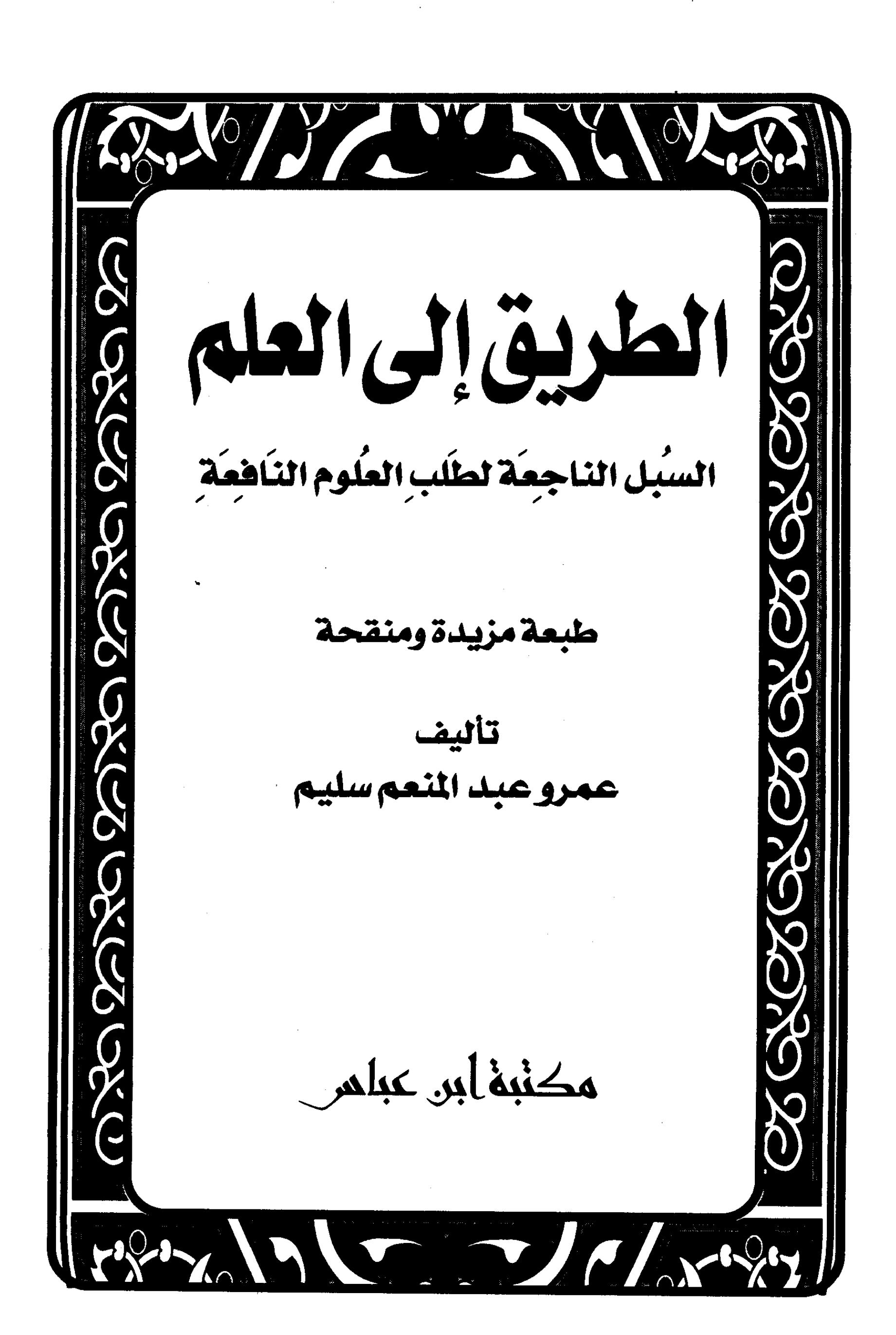


الطريق إلى العلم

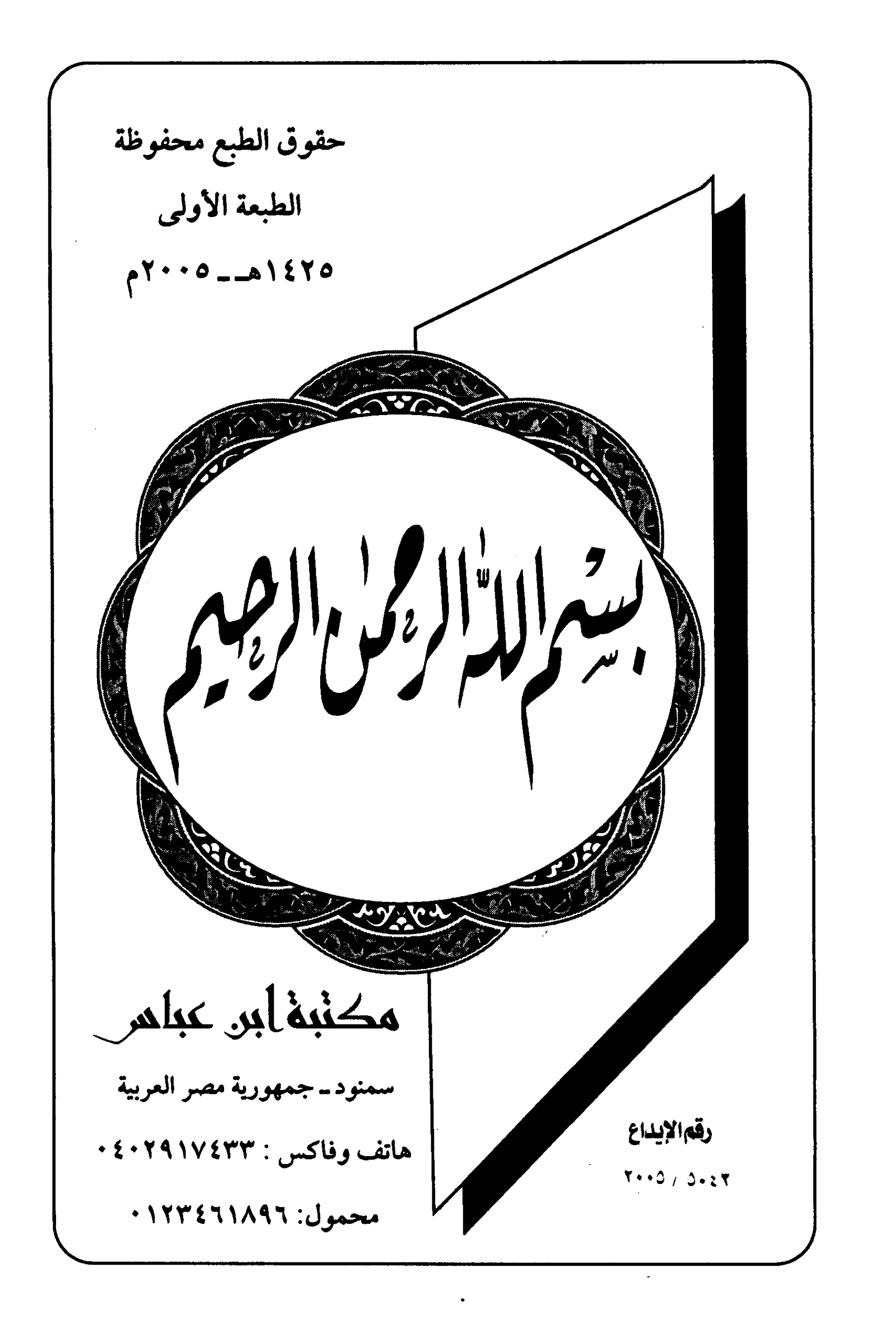
السُبل الناجِعَة لطَلَبِ العُلوم النَافِعَةِ

طبعة مزيدة ومنقحة

تأليف

عمرو عبد المنعم سليم

مكتبة ابن عباس



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

مكتبة ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية

هاتف وفاكس : ٠٤٠٢٩١٧٤٣٣

محمول: ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

رقم الإيداع

٥٠٤٢ / ٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذه هي الطبعة الثانية من كتابي : « السبل الناجعة لطلب العلوم النافعة » ، وقد بدا لي أن أضيف لعنوان الكتاب : « **الطريق إلى العلم** » إذ أن هذا الاسم الجديد يدل دلالة واضحة على محتوى الكتاب ، فإنه يبين الطريق السليم الذي يجب على طالب العلم أن ينتهجه في طلب العلم .

هذا ، وقد تميَّزت هذه الطبعة بزيادات كثيرة وبتعديلات مهمة في مواضع شتى من الكتاب ، هذا بالإضافة إلى تنقيح وتصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في الطبعة الأولى ، لتجيء هذه الطبعة الجديدة في ثوبها القشيب مزيدةً ومنقحة ، فأسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان أعمالي ، وأن تلقى من طلاب العلم القبول والرواج ، إنه سبحانه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب: عمرو عبد المنعم سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شرك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد:

فطلب العلوم الشرعية من أجلّ الطاعات ، ومن أعظم القربات إلى الله تعالى ، وكيف لا وبه يتعلم المرء ما يجب أن يقوم به من أمور التكليف ، سواءً كان في الاعتقاد ، أو في العبادات .

فبه يعلم المسلم ما يجب أن يعتقده في الله من الأسماء الحسنى وصفات الكمال العُلى ، وما يجب أن ينزه الله عنه من النقائص وما لا يليق به سبحانه من الصفات .

وبه يعلم المسلم كيف يقوم بأداء ما افتُرض عليه من العبادات : كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، . .

وبه يعلم المسلم ما يصلح به معاملاته ، بما لا يناقض أو يخالف الشرع الحنيف ، وبما يكسبه رضا الله تعالى ، كالبيوع والمزراعة . . .

ومن فضل الله سبحانه وتعالى وعظيم كرمه أن تفطّن كثير من شباب المسلمين في هذا العصر المليء بالمغريات والملهيات إلى أهمية طلب العلوم الشرعية ، والجد في تحصيلها ، بل ونشرها .

وهذا الكتاب الذي بين يديك - أخي المسلم الكريم - هو نصيحة أخ مخلص لإخوانه ، فيما يجب أن يتحلوا به في الطلب ، وما يجب أن يحذروا منه ، وما يجب عليهم فعله لتخطي عوائق الطلب ، وما يجب أن يقدموه في الطلب من العلوم على غيرها ، وغيرها من مهمات هذا الباب .

وقد بوبت كتابي هذا أبوابًا ، وهي :

١ ـ بيان فضل العلم الشرعي .

٢ ـ العلم مفتاح السنن والجهل مفتاح البدع .

٣ ـ أقسام العلم الشرعي من حيث التكليف .

٤ ـ كيف نطلب العلم .

٥ ـ أسباب فهم الدرس .

٦ ـ مختصرات ومطولات في المكتبة الإسلامية .

٧ ـ حفظ الدروس . سبله . أوقاته . مواضعه .

٨ ـ أهمية التصنيف وكتابة البحوث ، ومكانتها من شحذ القرائح العلمية .

٩ ـ عوائق طلب العلم .

١٠ ـ أخلاق طالب العلم .

١١ ـ الهمة في طلب العلم . إعلاؤها وأسباب هبوطها .

١٢ ـ أهمية الوقت في طلب العلم .

١٣ ـ صور من حفاظ العلماء على أوقاتهم .

١٤ ـ محاذير طلب العلم .

١٥ ـ من نصائح العلماء لطلاب العلم .

١٦ ـ خاتمة .

ولا أدعي نسبة كل ما ورد في هذه التذكرة إلى نفسي ، بل هي موضوعات مُفرقة في كتب شتى جمعتها وألفت بينها ، وهذبتها ، وزدت عليها في مواضع كثيرة .

هذا : وأسأل الله العظيم أن ينفعني وإخواني من طلاب العلم وعامة المسلمين بما سطرته في هذا الكتاب ، وأن يكون خالصًا لوجهه الكريم .

إنه على كل شيء قدير

والحمد لله رب العالمين

وكتب : أبو عبد الرحمن

عمرو عبد المنعم سليم

مُدخل في
بيان فضل العلم الشرعي

العلم على اختلاف أنواعه - سواءً كان شرعيا أو دنيويًا - تختلف درجة أهميته بحسب احتياج الفرد إليه ، ولذا نجد في بعض المجتمعات انتشار علوم معينة قد لا تكون بنفس درجة الانتشار والأهمية في مجتمعات أخرى ، وذلك بحسب احتياج المجتمع لهذا النوع من العلوم .

ولكن هذا بالنسبة للعلوم الدنيوية ، التي تهتم بالمحافظة على الحياة البشرية، وتسعى إلى تحقيق الرفاهية لأفراد المجتمع .

أما بالنسبة للعلوم الشرعية ، فالأمر يختلف ، من حيث إن المجتمعات الإسلامية لا تستطيع أن تطبق ما تدين به، إلا بتحصيل هذه العلوم ، تحصيلاً جزئيًا وتحصيلاً كليًا .

ونقصد بالتحصيل الجزئي :

ما لا يسع المرء جهله من أمور الدين ، والتي بدونها لا يستطيع أن يتعبد الله سبحانه وتعالى ، وهو ما يسمى بـ « فروض العين » .

ونقصد بالتحصيل الكلي :

ما لا يسع الكل - أي المجتمع بأسره - جهله ، ولا يجب على الكل علمه وهو ما يسمى بـ « فروض الكفاية » [1].

هذا من حيث العقل ، وأما من حيث الشرع ، فقد ورد في الكتاب العزيز ، وفي السنة الشريفة ما يدلنا على أهمية طلب العلوم الشرعية لتطبيق الإسلام على الوجه الذي يرضاه الله ورسوله .

---

(١) سوف يأتي الكلام على هذا التقسيم تفصيلاً إن شاء الله تعالى .

قال تعالى فى محكم التنزيل :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١٤] .

وقال عز من قائل :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

وشواهد ذلك من القرآن كثيرة .

وفي السنة الشريفة :

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ :

عن النبي ﷺ ، قال :

« ما من رجل يسلك طريقاً يطلب فيه علماً ، إلا سهل الله له به طريق الجنة ،

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه الإمام أحمد (١/ ٨٥ ، ٤٣٢) ، والبخاري (١/ ٢٤) ، ومسلم (١/ ٥٥٩) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (تحفة : ٧/ ١٣٤) ، وابن ماجه (٨/ ٤٢) من طريق قيس بن أبي حازم ، عن ابن مسعود به .

ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه »[١] .

فقوله ﷺ : « **ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه** » أي من أخره انشغاله عن طلب سعادة الدارين بتحصيل العلم ، لم يسعفه نسبه يوم القيامة ، فإن الأعمال هي التي توزن ، لا الأنساب ، فكم من نسيب حسيب يصلي نار جهنم، وكم من أشعث أغبر لا يأبه له الناس يمر على الصراط إلى الجنة مرور البرق .

وعن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ قال :

سمعت النبي ﷺ يقول :

« **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »[٢] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ[٣] :

فيه فضيله العلم والتفقه في الدين ، والحث عليه ، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى .

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه أبو داود (٣٦٤٣) ، والدارمي (٣٤٤) من طريق : زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة به .
وسنده صحيح ، وإن كان الأعمش قد عنعنه ، فإنه من روايته عن أبي صالح ، وهو من شيوخه الذين أكثر ملازمتهم وصحبتهم ، فعنعنته عنه محمولة على السماع ، إلا أن يتبين أنه قد دلس حديثًا بعينه عنه .

(٢) حديث صحيح :
أخرجه البخاري (١/ ٢٤) ، ومسلم (٢/ ٧١٨) من طريق : حميد بن عبد الرحمن ، عن معاوية بأطول من هذا .
أخرجه مسلم (٢/ ٧١٨) من طريق : عبد الله بن عامر اليحصبي ، عن معاوية بن أبي سفيان به ، واللفظ له .

(٣) « شرح صحيح مسلم » : (٧/ ١٢٨) .

وهذا العلم الذي سأله النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« **اللهم إني أسألك علماً نافعاً ،وأعوذ بك من علم لا ينفع** » [١] .

وهو العلم الذي ينتفع المسلم بتخليفه بعد موته .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله :

« **إذا مات الإنسان ، انقطع عنه عمله إلا من ثلاث ، إلا من صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

وهو العلم الذي برفعه يستدل على اقتراب الساعة .

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله :

« **إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويثبت الجهل ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا** » [٢] .

وهو العلم الذي بشر به النبي ﷺ عمر ـ رضي الله عنه ـ ففضله به على أقرانه من الصحابة .

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال :

سمعت رسول ﷺ الله يقول :

« **بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن ، فشربت حتى إني لأرى الرى يخرج في**

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٧٢) ، ومسلم (٣/ ١٢٥٥) ، وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذي (١٣٧٦) ، والنسائي (٦/ ٢٥١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٦/ ٢٧٨) ، والبغوي في «شرح السنة » (١/ ٢٣٧) من طريق : العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة به .

(٢) حديث صحيح :
أخرجه البخاري (فتح : ١/ ١٤٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٦) ، والنسائي في « الكبرى » (تحفة: ١/ ٤٣٨) من طريق : أبي التياح ، عن أنس به .

أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » .

قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « العلم »(١) .

وقد ذم الله سبحانه وتعالىٰ من يطلب علوم الدنيا ، ويغفل ـ أو يتغافل ـ عن علوم الآخرة ـ علوم الشرع ـ فقال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا ، واكتسابها ، وشؤونها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ، ووجوه مكاسبها ، وهم غافلون في أمور الدين ، وما ينفعهم في الدار الآخرة ، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ، ولا فكرة .

قال الحسن البصري : والله ليبلغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره ، فيخبرك بوزنه ، وما يحسن أن يصلي .

وقد ضرب لنا النبي ﷺ مثلاً لمن فقه دين الله فانفتح به ، ونفع غيره ، ومن لم يرفع بذلك رأساً ، فخاب وخسر .

فعن أبي موسىٰ الأشعري ـ رضي الله عنه ـ :

عن النبي ﷺ ، قال :

« مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ أو العشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفةً

---

(١) حديث صحيح :

أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٥٥) ، والبخاري (فتح : ١/ ١٤٦) ، ومسلم (٤/ ١٨٥٩) ، والترمذي (٢٢٨٤) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (تحفة : ٥/ ٣٣٨) ، والدارمي (٢١٥٤) من طريق : حمزة بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر به .

أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ، ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به »(١).

* * *

(١) حديث صحيح :
أخرجه البخاري (١/ ٢٦) ، ومسلم (٤/ ١٧٨٧) ، والنسائي في « الكبرىٰ » من طريق : أبي بردة ، وعن أبي موسىٰ الأشعري-رضي الله عنه به .

العلم مفتاح السنن
والجهل مفتاح البدع

ثم اعلم أخي طالب العلم :

أن طلب العلم مفتاح السنن ، وتركه مفتاح البدع .

فبطلب العلم من مظانه تتضح لك المسائل ، وتستبين أمامك المُبهمات ، وتتجلىٰ بين يديك الخفيات ، وتستحضر الغائبات ، فإذا جهلت كيفية الوضوء لم يشغلك إلا السؤال عنها ، وطلب فقهها وتحصيل علمها ، وكذلك الصلاة ، والزكاة ، وكل ما تصبح به مكلفاً .

فإن أنت طلبته بدليله من الكتاب والسنة ، وعملت به علىٰ ما علمت من فقهه ، أصبت بذلك السنة ، ونلت الأجر العظيم ، والثواب العميم .

وإن أغفلت ـ أو تغافلت عما لا تعلم من أمور دينك ، فعملت بغير علم ، أو تركت العمل ، لم تصب إلا الخسران المبين في الدنيا والآخرة .

وقد بيّن لنا النبي ﷺ كيف أردىٰ الخوارج جهلهم بالعلم ، وكيف استباحوا دماء المسلمين باتباعهم متشابه النصوص ، وعدم ردهم لها إلىٰ محكمها .

فقال في وصفهم عليه السلام :

« يقرؤون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » [1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٨٩) ، ومسلم (٢/ ٧٤١) ، وأبو داود (٤٧٦٤) ، والنسائي (٧/ ١١٨) من طريق : عبد الرحمن بن أبي نعم ، عن أبي سعيد الخدري به ، وفيه قصة .

ولذلك فقد حذرالنبي ﷺ ممن يتبع المتشابه من النصوص بغير علم - ويعدم رده إلى المحكم - فقال ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - بعد أن تلا قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

« فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »(١) .

ولذلك فقد روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال :

« سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل » (٢) .

فأصحاب البدع يتبعون متشابه القرآن ، لجهلهم وتعالمهم ، وأما أهل الحق فيطلبون السنن لاتباعها ، ولا يخوضون في المتشابه ، بل يردونه إلى محكمه ، ويقولون : ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ .

وكم من فرقةٍ ضالة كان منشأ ضلالها العزوف عن طلب العلم ، وترك التفقه في دين الله بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وكم من فرقةٍ مبتدعة كان منشأ بدعتها اتباع المتشابه ، والتعالم بالكتاب والسنة .

---

(١) حديث صحيح :
رواه البخاري (٣/ ١١٠) ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٣) ، وأبو داود (٤٥٩٨) والترمذي (٢٩٩٣) من طريق : عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة به .

(٢) أخرجه الآجري في « الشريعة » (ص : ٥٢) بسند مرسل .

فحري بكل مسلم أن يطلب علم ما كُلِّف به ، وما يحتاج إليه من علم حاله، مما يقيه الابتداع في الدين ، أو الضلال باتباع المتشابه ، أو الفتنة بالفرق المبتدعة والضالة .

وفي الفصل القادم إن شاء الله تعالى ، سوف نتعرف على أقسام العلم من حيث التكليف .

* * *

أقسام العلم الشرعي

من حيث التكليف

العلم الشرعي من حيث التكليف ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم عيني :

وهو العلم الذي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه ، كالإيمان ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة إن كان المال قد بلغ النصاب وحال عليه الحول ، والصوم ، والحج ، لمن استطاع إليه سبيلاً ، وكل ما عرف بالضرورة من دين الإسلام من الأوامر والنواهي ، التي لا يشب الغلام في بلد إلا وهو يدريها [١] .

وبعض أهل العلم كالإمام الزرنوجي ـ رحمه الله ـ يعبر عن هذا النوع من العلم بـ « علم الحال » وهو ما يحتاج الإنسان إلى معرفة علمه في حاله .

الثاني : علم كفائي :

وهو ما لا يجب على كل أحد معرفته وعلمه ، فإذا قام به أحدهم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع ، وإن لم يقم به البعض واحتيج إليه أثم الكل .

كحفظ القرآن ، والقراءات ، وعلم الفرائض ، والمناسك الواجبة ، ومعرفة الحلال والحرام ، ونحوها [٢] .

وهذه الأنواع لا تجب على كل أحد ، بل يكفي البعض الكل بالقيام بمهامها .

---

(١) انظر : « مسائل في طلب العلم » للحافظ الذهبي (ص : ٢٠١) .
(٢) انظر : « جامع بيان العلم وفضله » (١/ ١٠) ، و« المصدر السابق » .

والآن أخي طالب العلم :

بعد أن تعرفنا في هذه المقدمة اللطيفة على فضل العلم ، والحث على طلبه، وكيف أن تركه يكون مفتاحاً للبدع ، وأقسامه من حيث التكليف ، فهذا أوان الشروع في بيان بغيتك في معرفة الطريق الصحيح إلى طلب العلوم الشرعية .

* * *

كيف

نطلب العلم...؟

عند البدء في طلب العلم : لا بد للطالب من النظر في :

١ ـ إخلاص النية في الطلب :

لابد لك ـ أخي المسلم ـ أن تحسن نيتك ، وتخلصها لله عز وجل ، فكما قال النبي ﷺ :

« إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى »[١] .

فمتى حسنت نيتك وأخلصتها لله عز وجل كان التوفيق حليفك ، والأجر من نصيبك ، ومتي شذذت وصرفتها عن غير وجهها ، لم يكن لك إلا الخسران في الدنيا ، والهوان يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه ، رجل استشهد ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال:كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ؟ قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه أحمد (١/ ٢٥) ، والبخاري (١/ ٥) ، ومسلم (٣/ ١٥١٥) ، وأبو داود (١/ ٢٢) ، والترمذي (١٦٤٧) ، والنسائي (١/ ٥٨) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه .

القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »[١].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال :

« من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرفة الجنة يوم القيامة »[٢].

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله :

من طلب شيئا من هذا العلم ، فأراد به ما عند الله يدرك إن شاء الله ، ومن أراد به الدنيا ، فذاك والله حظه منه [٣].

وقال إبراهيم النخعي ـ رحمه الله ـ :

من ابتغى شيئا من العلم يبتغي به وجه الله آتاه الله منه ما يكفيه [٤].

وأما من طلب العلم لحبه له ، وشغفه به ، فعسى أن يرزقه الله بعد النية .

قال مجاهد بن جبر ـ رحمه الله :

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه مسلم (نووي : ١٣/ ٥٠) ، والنسائي (٦/ ٢٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨) ، وأبوداود (٣٦٦٤) ، وابن ماجه (٢٥٢) ، والحاكم (١/ ٨٥، ١٩٠) من طرق عن : فليح بن سليمان ، عن أبي طوالة ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة به .
وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصححه النووي في « رياض الصالحين » (ص : ٤٤٧) .
ولكن في سنده عندهم فليح بن سليمان ، وهو صدوق كثير الخطأ ، وقد تفرد به ، ولكن رواه عنه جمع من الرواة ، فلم يختلف فيه ، فلعله حفظه ، والله أعلم .

(٣) أخرجه الدارمي (٢٥٤) بسند صحيح .

(٤) أخرجه الدارمي في « السنن » (٢٦٥) بسند صحيح .

طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ، ثم رزق الله بعد فيه النية [١] .

وقال معمر بن راشد ـ رحمه الله :

كان يقال : إن الرجل ليطلب العلم لغير الله ، فيأبىٰ عليه العلم حتىٰ يكون لله [٢] .

فخلاصة الأمر ، أنه :

« ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم : رضاء الله والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال ، وإحياء الدين ، وإبقاء الإسلام بالعلم ، ولا يصح الزهد والتقوىٰ مع الجهل .

وينوي به الشكر علىٰ نعمة العقل ، وصحة البدن ولا ينوي به إقبال الناس إليه ، ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره [٣] .

فإنه إن صفت له نيته علىٰ هذا النحو ، أعانه الله علىٰ طلب العلم ، وسدد خطاه ، وبارك له فيما رزقه من العلم ، وأجزل له الأجر والثواب في الآخرة .

فاحرص أخي طالب العلم :

علىٰ صفاء نيتك ، وحسن سريرتك ، وسلامة مقصدك في طلب العلم .

٢ ـ تحديد الهدف :

ثم ينبغي عليك بعد ذلك أن تحدد هدفك ، وتستوضح غايتك ؛ فإن كنت لم تتعلم بعد ما يجب عليك تعلمه مما تحتاج إليه من أمور دينك ؛ مما هو عليك فرض عين ، فابدأ أولاً بتعلم ما يجب تعلمه من مسائل الإيمان ، والطهارة ، والصلاة ، والصوم ، وكل ما يلزمك معرفته ، مما لا تستطيع أن تتعبد الله إلا

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٥) بسند لا بأس به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٤٧٥) عن معمر به ، وسنده صحيح .

(٣) « تعليم المتعلم طريق التعلم » (ص : ٩) .

بمعرفته .

ثم انظر بعد هذا من نفسك همتها ، فإن كانت تقوىٰ علىٰ الاستزادة من علوم الشرع ، فلا تبخل عليها ، وزودها بما ييسره لك الله من علوم الشرع ، ولكن :

حذار من : **الفوضى في الطلب .**

وهو ما سوف نتعرف عليه في باب : « **عوائق طلب العلم** » .

ثم احرص علىٰ اختيار ما تميل إليه نفسك من العلوم ، ولا تشتت نفسك بينها ، فتفتر همتك ، ويضيع جهدك ، فتندم علىٰ سوء تخطيطك .

فإن العمر قصير ، ولو بذل كله في طلب علم واحد لنفد العمر ، ولم يحصل من هذا العلم إلا الشيء القليل .

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله :

« من الغلط تحميل القلب حفظ الكثير من فنون شتىٰ ، فإن القلب جارحة من الجوارح ، وكما أن من الناس من يحمل المائة رطل ، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلا ، فكذلك القلوب »[1].

٣ ـ القراءة على الأشياخ :

وكذلك فاحرص ـ أخي في الله ـ علىٰ أن تتلقىٰ علومك من أفواه المشايخ ، سواءً بالقراءة عليهم ، أو سؤالهم أو بالرحلة إليهم .

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في كتابه القيم الفريد « حلية طالب العلم » (ص : ٢٢) :

« الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأسانيد ،

(١) « صيد الخاطر » (ص : ٢١٣) .

والمثافنة للأشياخ ، والأخذ من أفواه الرجال ، لا من الصحف وبطون الكتب ، والأول من باب أخذ النسيب ، عن النسيب الناطق ، وهو المعلم ، أما الثاني عن الكتاب ، فهو جماد ، فأنى له اتصال النسب » .

فالشيخ الذي تلقى علمه على المشايخ إلى انتهاء سلسلة التلقي يكون عالمًا بمسائل علمه ، عارفًا بخباياها ، متفننًا في أصول علمه ، قادرًا على تمييز الصواب من الخطأ ، والصحيح من التصحيف ، والراجح من المرجوح ، وقول المتقدم من قول المتأخر .

ويحضرني في هذه المناسبة :

أني في بداية عهدي بطلب العلم ، توجهت إلى أحد مشايخي - حفظهم الله جميعًا - فسألته عن ترجمة راو من الرواة في « الكامل » لابن عدي ، فما أن نظر إلى ترجمته في « الكامل » حتى أفادني بوجود سقط - أو تصحيف لا أذكر أيهما قال - وذكر لي الصواب الذي هو في الأصل المخطوط دون أن يكون معه المخطوط عند السؤال ، وما كنت لأعلم بهذا الخلل في هذه المرحلة من الطلب وحدي .

٤ - تخير الشيوخ إذا تباينت أوصافهم:

ويجب على طالب العلم أن يتخير من الشيوخ : أتبعهم للسنة ، وأتقاهم ، وأنقاهم سريرة ، وأتقنهم عملا ، وأقرأهم حال طلبه ، وأكثرهم تواضعًا ، وأفضلهم سمتًا ، وأدمثهم خلقًا ، وأقواهم دينًا ، وأحرصهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأبسطهم عبارة ، وأكثرهم إيضاحًا وأجلهم مكانة في العلم ، وأعملهم بما علم ، وأورعهم عن الحرام ، وأكثرهم سماحة ، وأشدهم في الحق ، وأرحمهم بالطلاب خاصة وبالناس عامة .

وهذا الصنف وإن كان نادرًا في هذا الزمان إلا أنه موجود غير مفقود ، بائن لمن بحث عنه وطلبه ، غائب عمن أهمله وأبطأ عنه .

وقد روي عن إبراهيم النخعي - رحمه الله - أنه قال :

كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه ؛ نظروا إلى سمته ، وإلى صلاته ، وإلى حاله ثم يأخذون عنه[١] .

وقال محمد بن سيرين - رحمه الله :

إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم [٢] .

٥ - التأصيل والتأسيس في طلب العلم :

ثم : « لا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه ، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن ، لا بالتحصيل الذاتي ، آخذًا الطلب بالتدرج ، قال الله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء : ١٠٦] وقال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٢] وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة : ١٢١] .

فأمامك أمور لا بد من مراعاتها في كل فن تطلبه :

١ - حفظ مختصر فيه [٣] .

٢ - ضبطه على شيخ متقن .

٣ - عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١/ ٢٨) من طريق : هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم به .
قلت : وهذا سند رجاله ثقات ، إلا أن مغيرة - وهو ابن مقسم - كثير التدليس عن إبراهيم وقد عنعن الإسناد .

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة « صحيحه » (١/ ١٤) بسند صحيح .

(٣) أو استيعاب ما فيه من مسائل مع سهولة استحضارها ، حتى ولو كانت بالمعنى .

لأصله .

٤ ـ لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب ، فهذا من باب الضجر .

٥ ـ اقتناص الفوائد والضوابط العلمية وتقييدها .

٦ ـ جمع النفس للطلب والترقي فيه ، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه ، حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة »[1].

٦ ـ تهيئة أسباب فهم الدرس :

وهو ما سوف نتعرف عليه في الباب القادم إن شاء الله .

***

(١) « حلية طالب العلم » للشيخ بكر بن عبد الله ـ حفظه الله ـ (ص : ١٨ ـ ١٩) .

تهيئة
أسباب فهم الدرس

ثم احرص :

على تهيئة أسباب فهم الدرس الذي تحضره على الشيخ ، فهو أساس علمك ، وأصل معرفتك ، وبه تُنْمِي ما حصلت ، وعليه تعتمد في مراجعتك .

ومن أسباب فهم الدرس :

١ ـ اختيار الموضع المناسب من الشيخ:

لكي يحصل لك حسن الاستماع ، فلا تشرد لانخفاض الصوت ، ولا يتصحف عليك كلام الشيخ لابتعادك عنه ، وقد كان طلاب العلم يتبارون ويتسابقون في تحصيل أقرب الأماكن من الشيخ لتتم لهم الفائدة ، ويسهل عليهم الاستماع ، وقد رأيت في حلقات العلم التي كانت تقام في المسجد الحرام تسابق الطلاب لحجز الأماكن حول كرسي الشيخ قبل موعد الدرس بساعات طويلة .

٢ ـ الانتباه إلى شرح الشيخ وقراءة المعيد :

فإنه ثمرة هذا المجلس ، فإن غفل الطالب عن قراءة المعيد أو عن شرح الشيخ ضاعت عليه الفائدة ، والتبست عليه مسائل الدرس ، فإنه إن ضيع الآني لم يحصل الآني ، فإنما هو خلف لما سلف ، وبقية لما مضى .

فلا تشغلن نفسك يا أخي بالكلام مع زميلك في الدرس ، ولا تشغلن نفسك بنسخ ما فات ، فيضيع عليك ما سيأتي ، ولا تنشغلن بنظر أو لعب أوسهو أو تفكير عارض ، بل تيقظ ، وتنبه ، وأحسن الاستماع ، ليحسن لك الفهم .

٣ ـ الاهتمام بتقييد الفوائد :

ولا تهتم بتقييد كل ما تسمع ، فإن ذلك قد يضيع عليك حسن الفهم ، وتسلسل المتابعة ، ولكن احرص على تقييد الفوائد ومهمات الدرس ، فإنها خلاصته ، ورحيقه المختوم .

٤ ـ الامتناع عن كثرة السؤال :

وإياك وكثرة السؤال أثناء الدرس ، فإنه يضيع عليك وعلى إخوانك حسن الاستفادة ، ويقطع على الشيخ حبل أفكاره ، فإن كان لا بد فاستأذن الشيخ بأدب جم ، فإن أذن وإلا فلا تصر ، فإنه من مذمومات الطلب .

٥ ـ ترك قراءة الكتاب الواحد على أكثر من شيخ في آن واحد :

واحذر أن تقرأ كتابًا أو ـ مختصرًا ـ على أكثر من شيخ في آن واحد ، فإن ذلك قد يؤدي إلى تشتيت الفهم في المسائل التي قد يختلفا فيها ، والأولى أن يتقن الطالب قراءة الكتاب ـ أو المختصر ـ على شيخ متقن ، ولا يعدد الشيوخ في نفس الكتاب في ذات الوقت .

٦ـ مراجعة الدرس بعد انتهائه :

ثم عليك ـ ولا بد ـ أن تراجع درسك الذي حصلته على الشيخ بعد انتهائه بالنظر في أصلك ، وما قيدته من فوائد الشيخ ومهمات الدرس .

ولا بأس من الاجتماع مع الأقران للمذاكرة ، والمراجعة ، وطرح الأسئلة والجواب عليها ، فإنه مما يزيد الفائدة ، ولكن بعيدًا عن اللهو والمزاح الفارغ .

٧ ـ استحضار الدروس بين الحين والآخر :

ولا بد من تعاهد ما درست وما حفظت بين الوقت والآخر ، لكي لا تنساه ، أو تذهب عنك مسائله وفوائده ، وليكن في نهاية الأسبوع ، أو ما يناسبك من أيام الأسبوع ، أو من أوقات اليوم الواحد .

٨ ـ الحرص على تطبيق ما تعلمت :

وذلك بالعمل به .

فقد قيل : « **هتف العلم بالعمل فإنه أجابه وإلا ارتحل** »[١] .

فمن ترك العمل بما علم ، نسي ما تعلم ، حتى يصبح جاهلا ، وكفى بها بلية في الدنيا ، وأما في الآخرة فيكون أول من تسجر به نار جهنم كما مر ذكره في حديث أبي موسى ، رضي الله عنه .

كانت هذه هي أسباب فهم الدرس ، ذكرتها لك ـ أخي طالب العلم ـ على سبيل الاختصار ، فاحرص على الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها فإنها نافعة إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) وقد روي بسند تالف فيه مجاهيل عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من قوله . أخرجه ابن عساكر في « ذم من لا يعمل بعلمه » (١٥) .

مختصرات ومطولات
في المكتبة الإسلامية

وأما كيف تتخير الكتاب المناسب للدراسة في كل فن من الفنون ؟

فذلك يكون بسؤال أهل التخصص في كل فن ، أو بإرشاد الشيخ أو المعلم، فصاحب التخصص أعلم بتخصصه من غيره .

فتسأل من عُرِفَ بممارسة علم الحديث ، واشتهر به ، وثبتت قدمه ، فيه عما تبدأ به الطلب ، سواءً المختصرات أو المطولات فيما بعد .

وكذلك تفعل مع الفقيه ومع اللغوي ، ومع المفسر ، . . .

وإتمامًا للفائدة ، ونصحًا لطلاب العلم سوف نذكر في هذا الفصل إن شاء الله تعالى بعض مختصرات ومطولات كل فن من فنون العلم ، ونبذ مختصرة عنها ، لكي تساعد الحائر على نيل بغيته .

*** علم الحديث :**

وقد افتتحنا به الكلام لأنه أشرف العلوم ، وهو من باقي علوم الشرع بمنزلة الرأس من الجسد ، فبه يفرق بين الصحيح والضعيف من الأخبار ، ومن ثم بيان الراجح من المرجوح من الأقوال والمذاهب .

فلا ينبغي أن يُظن أن علم الحديث هو مجرد الرواية دون الدراية ، ولا مجرد التصحيح والتضعيف دون الفقه فيه ، بل هو الرواية والدراية والتصحيح والتضعيف والفقه والفهم .

ولذلك فقد ذم كثير من أهل العلم من اهتم بالسماع لمجرد الرواية ، أو لتكثير المسموع ، أو لنيل وجوه الناس بالتحديث ، وقد كان مثل هذا منتشرًا في عصور سابقة ، فتصدىٰ العلماء لبيان مفاسد هذا النوع من التحصيل .

قال الإمام الذهبي - رحمه الله [(١)]:

« والمحدثون : فغالبهم لا يفقهون ، ولا همة لهم في معرفة الحديث ، ولا في التدين به ، بل الصحيح والموضوع عندهم بنسبة ، إنما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ ، وتكثير العدد من الأجزاء والرواة ، لا يتأدبون بآداب الحديث ، ولا يستفيقون من سكرة السماع ، الآن يسمع الجزء ونفسه تحدثه : متى يرويه ؟ أبعد خمسين سنة ، ويحك ، ما أطول أملك ، وأسوأ عملك ، معذور سفيان الثوري إذ يقول ، فيما رواه أحمد بن يوسف التغلبي ، حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا حماد بن زيد ، قال :

قال سفيان الثوري - رحمه الله :

لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير .

صدق والله ، وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه ، وأنت لا تقلبه ، ولا تبحث عن ناقليه ، ولا تدين الله به .

أما اليوم في زماننا فما يفيد المحدث الطلب والسماع ، مقصود الحديث من التدين به بل فائدة السماع ليروى ! فهذا والله لغير الله » .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله [(٢)]:

« وعلم الحديث يتعلق بعضه ببعض وهو مشتهى ، والفقهاء يسمونه علم الكسالى ، لأنهم يتشاغلون بكتابته وسماعه ، ولا يكادون يعانون حفظه ، ويفوتهم المهم وهو الفقه .

وقد كان المحدثون قديماً هم الفقهاء ، ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث ، والمحدثون لا يعرفون الفقه » .

---

(١) « زغل العلم » (ص : ٢٧-٢٨) .

(٢) صيد الخاطر » (ص : ٥٠٥) .

فحذار - يا أخي - أن تشتغل بعلم الحديث اشتغال من يطلب به الدنيا ، بل اجعله طريقك في تمييز الصحيح من الضعيف من الأخبار ، طلبًا للراجح من الأقوال ، وتوج هذا كله بحسن النية وسلامة المقصد ، وهو عبادة الله كما يحب ويرضى .

مختصرات في مصطلح الحديث :

من أهم المختصرات المصنفة في علم مصطلح الحديث ، التي يُنصح طالب العلم بقراءتها في أول الطلب :

١ ـ موقظة الإمام الذهبي رحمه الله:

وهي مختصر لطيف في مصطلح الحديث ، اختصره من كتاب شيخه ابن دقيق العيد المسمى بـ « الاقتراح » وهذبه ، وزاد عليه بعض الزيادات المنيفة ، والفوائد الجيدة .

ويمتاز بسهولة عبارته ، وصغر حجمه ، وغزير فائدته .

إلا أنه أغفل بعض أنواع الحديث فلم يذكرها في كتابه ، فلعله استغنى عن ذلك بما في كتاب شيخه ابن دقيق [١] .

٢ ـ نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله :

ثم إذا انتهيت من دراسة موقظة الذهبي ، فعليك ولابد - بكتاب « نخبة الفكر » للحافظ ابن حجر ، فاحرص على ضبطه وإتقان حفظه - إن استطعت - على شيخ متقن .

ثم اقرأ عليه شرحه الباهر « نزهة النظر » للحافظ ابن حجر أيضًا .

ولكن حذار أن تخوض في بحره دون مرشد من شيخ أو معلم ، فهو كتاب

(١) وهو مطبوع متداول بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة ، وقد قدمته للطبع بشرحي عليه ، ثم طبع بعد طبعتين ، وهو يطبع الآن بشرح الأخ الفاضل الشيخ سليم الهلالي .

عظيم الفائدة ، إلا أن له خبايا لا يعلمها إلا المتخصص في هذا العلم .

وهو من أجمع المختصرات ، وشرحه من أنفع الشروح فاحرص عليهما ، وعض عليهما بالنواجذ (١).

٣ ـ مختصر علوم الحديث :

للإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير ـ رحمه الله تعالىٰ :

وقد اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح ـ والتي سوف يأتي الكلام عليها قريبًا إن شاء الله تعالىٰ .

وهو مختصر نافع جدًا ، وفيه تنبيهات وفوائد للحافظ ابن كثير لا تصدر إلا عن محدِّث جهبذ .

وقد تصدىٰ لشرحه العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ وسماه : « الباعث الحثيث شرح مختصر علوم الحديث » ، وهو من أنفع الشروح علىٰ الإطلاق ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير جزاء .

والمختصر ـ بشرحه ـ مطبوع متداول ، ثم صدر حديثًا بتحقيق الأخ الفاضل الشيخ علي حسن عبد الحميد ، وعليه تقييدات يسيرة للشيخ الألباني رحمه الله .

منظومات وألفيات في مصطلح الحديث :

١ ـ المنظومة البيقونية :

وقد اهتم بشرحها جماعة من الأفاضل منهم : العلامة حسن بن محمد

(١) ولكن احذر من تصحيفات وتحريفات النسخة المطبوعة المتداولة في السوق ، فإن بعض التصحيفات والسقط غيَّرا من معنىٰ عبارة الشارح .

ثم أعدت تحقيقه وشرحه ـ المختصر والشرح ـ وهو مطبوع بمكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ثم نفذ ، وها أنا ذا أعد العدة لإعادة تحقيقه علىٰ نسخ خطية جديدة زائدة ، والتعليق عليه بحواش وبحوث جديدة .

المشّاط واسم شرحه : « التقريرات السنية شرح البيقونية » ، وللشيخ علي حسن عبد الحميد ـ حفظه الله ـ شرح مختصر عليها .

٢ ـ ألفية الإمام العراقي ـ رحمه الله :

وهي نافعة جداً ، إلا أن ألفاظها ليست بالسهلة ، ويحتاج في حفظها إلى همة عالية ، وجهد كبير .

وقد قام بشرحها الحافظ العراقي نفسه ، والحافظ السخاوي ، وشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري .

وهذه الشروح مطبوعة متداولة .

٣ ـ ألفية الإمام السيوطي ـ رحمه الله :

وهي تمتاز بسهولة الألفاظ ، بخلاف ألفية العراقي ، وقد استفاد ـ رحمه الله ـ من ألفية العراقي استفادة كبيرة ، وزاد عليها زيادات .

وقد وضع السيوطي عليها شرحًا أسماه « البحر الذي زخر بشرح ألفية الأثر » ، ولم يُطبع حتى الآن ! ثم طُبع بعد محققًا كرسالة علمية .

وللعلامة أحمد شاكر تعليقات جيدة منيفة على الألفية ، وهي مطبوعة متداولة .

وشرحها أيضًا أحد المعاصرين ، وهو العلامة محمود بن آدم الأثيوبي .

وقد يسر الله لي البدء في شرحها ، فانتهيت من شرح المائة الأولى ، وهو مطبوع متداول ، وباقي الأجزاء تصدر تباعًا إن شاء الله تعالى .

٤ ـ لغة المحدِّث :

لأخينا الفاضل الشيخ طارق بن عوض الله بن محمد ، وتقع في مائة وسبع وأربعين بيتًا ، وقد قام بشرحها ، فأجاد وأفاد ، فجزاه الله خيراً .

وهذه المنظومة وشرحها مطبوعة متداولة بين طلاب العلم .

مطولات المتقدمين في علم مصطلح الحديث :

١ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي :

تصنيف القاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي ، وهو أول مصنف وضع في مصطلح القوم وحدود العلم ، إلا أنه لم يستوعب ، ولم يهذب ، وهذا الكتاب مطبوع متداول .

٢ ـ الكفاية :

للخطيب البغدادي ، وهو كتاب نافع جداً ، وفيه تقرير مذهب المتقدمين في مسائل هذا العلم ، وهو مروي بالأسانيد .

٣ ـ معرفة علوم الحديث :

لأبي عبد الله الحاكم ، وهو مفيد ، إلا أنه لم يهذب ولم يترتب كما قال الحافظ في « النزهة » .

وتبقى بعد ذلك كتب السؤالات والمسائل عن الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد، وابن معين ، وغيرهما ، ففيها بيان مذهب الأئمة المحققين في مسائل هذا العلم لمن تتبعها .

* مطولات المتأخرين والمعاصرين في علم مصطلح الحديث :

١ ـ مقدمة ابن الصلاح « علوم الحديث » :

وهي البحر الزخار ، الذي حوىٰ الدرر واللآليء من الفوائد والحدود والقوانين في هذا العلم ، وعليها التعويل عند المتأخرين من أهل العلم ، فقد جمع ابن الصلاح فيها ما تفرّق من اصطلاحات وحدود وقوانين هذا العلم في كتب الأوائل ، ككتب الخطيب البغدادي ، والمحدث الفاصل للرامهرمزي ، وسبر طرق أهل العلم في استنباط الأحكام علىٰ الأحاديث ، ودونها فوائد، فكانت مقدمته المشار إليها .

٢ ـ التقييد والإيضاح ـ للحافظ العراقي :

وهو كتاب تتبع فيه الحافظ العراقي عبارات ابن الصلاح في مقدمته ، بالبيان تارة ، وبالتقييد تارة أخرىٰ ، وبالنقد تارة ثالثة ، وهو كتاب فريد جدا للمتخصص .

٣ ـ النكت على مقدمة ابن الصلاح ـ للحافظ ابن حجر :

وهذا الكتاب تتبع فيه الحافظ ابن حجر كلاً من ابن الصلاح في مقدمته ، والحافظ العراقي في « تقييده » فنكت عليهما بالبيان ، والتوضيح ، والنقد ، والتحقيق .

وهو كتاب نافع جدا ، قد مُلئ بالفوائد التي لا يجدها طالب العلم مجتمعة إلا فيه . وهذه الكتب الثلاثة مطبوعة متداولة بين طلاب العلم .

٤ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ـ للسيوطي :

وهو كتاب حسن في بابه ، وإن كان علىٰ مصنفه فيه بعض المآخذ .

وهو شرح لتقريب النواوي ـ وهو مختصر لعلوم الحديث لابن الصلاح ـ وشارحه سار فيه علىٰ طريقته في التصنيف وهي الجمع ، وهو أفضل ما يستفاد من هذا الشرح ، فقد نقل فيه جملة كبيرة من أقوال أهل العلم ، بعضها مذكور في مصنفات لا تزال مخطوطة أو مفقودة .

وأكثر فيه من النقل عن شيخه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله .

٥ ـ قواعد التحديث :

لعلامة الشام جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ وهو كتاب نافع لا سيما للمبتدئين .

٦ ـ تيسير مصطلح الحديث :

لشيخنا العلاَّمة الدكتور محمود الطحان ـ حفظه الله ورعاه ـ وهو من أسهل الكتب المجموعة في هذا العلم ، فقد راعىٰ حفظه الله أهمية طريقة عرض

المعلومة ، والخروج بالطالب من الخلاف إلى الراجح ، فكان كتابه بذلك من أول ما صنفه المعاصرون على هذا النحو الجميل ، الذي يسهِّل على طالب العلم الخوض في هذا العلم ، خصوصًا مع ما يوصف به من الجفاف .

٧ - تيسير علوم الحديث :

وهو من تأليفي ، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام :

الأول : مذكرة أصول الحديث للمبتدئين ، وقد راعيت فيها عرض الحدود والقوانين ، ثم شرحها شرحًا ميسرًا ، والتمثيل لها تقريبًا لمعناها وللمراد منها .

الثاني : مذكرة الجرح والتعديل ، وقد ذكرت فيها مهمات هذا العلم ، وعرجت على الكلام على بعض مصنفاته المهمة .

الثالث : مذكرة علل الأحاديث ، وتناولت فيها طريقة اكتشاف العلل ، وطعمتها بأمثلة عملية تعين الطالب على دراستها .

وقد لاقى هذا الكتاب ولله الحمد والمنة الرواج ، وتلقاه كثير من الطلاب والمشتغلين بالعلم بالقبول ، فله سبحانه الحمد والمنة .

*** كتب الحديث :**

والآن بعد أن تعرفنا على أهم المراجع التي صُنِّفت في علم مصطلح الحديث، ينبغي علينا أن نتعرف على متون أشهر كتب الحديث وبعض شروحها.

فمن كتب الحديث ، وأشهرها : الكتب الستة ، ونقصد بها :

صحيح الإمام البخاري ، وصحيح الإمام مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه .

وسوف نتعرف على نبذة مختصرة عن كل كتاب من الكتب الأربعة الأخيرة، ونستغني عن التعريف بالصحيحين لشهرتهما .

(١)

« سنن أبي داود »

ومصنفها : هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني .

وقد اختص كتابه هذا بأحاديث الأحكام ، ولم يضع فيه كتب الزهد وفضائل الأعمال .

وكتابه السنن من دواوين الإسلام التي لا يستغني عنها ، إلا أنه لم يشترط فيها الصحة ، بل فيها الصحيح ، والحسن ، والصالح ، والضعيف ، والمنكر .

ولم يشترط الاستيعاب في ذكر أحاديث الباب ، وإنما تقريب المنفعة به ، وقد يورد الحديث الواحد من أكثر من وجه ، لزيادة في متن أو سند .

وقد يتكلم على بعض الأحاديث بالإعلال وذكر الاختلاف فيها على رواتها .

وقد فصَّل الكلام على « سننه » في رسالته إلى أهل مكة ، وهي نافعة جدًا فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

(٢)

« جامع الترمذي »

ومصنفه : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي البوغي الترمذي الضرير .

والترمذي تلميذ الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ وخريجه في هذه الصنعة ، وكثيرًا ما ينقل عنه في جامعه عند الكلام على أحوال الرواة وسماعاتهم وعلل أحاديثهم .

وجامعه هذا يخالف « سنن أبي داود » في إيراده أبواب الزهد ، وفضائل

الأعمال ، التي لم يوردها أبو داود .

وهو كتاب جامع ، مانع ، جمع فيه بين رواية الحديث ، ودرايته ، وعلله ، وأحوال رجاله ، ومذاهب أهل العلم في أبواب الفقه .

إلا أنه اتخذ لنفسه في كتابه هذا إطلاقات وأوصاف على الأحاديث اختلف في فهم مقاصدها ، ومعرفة معناها ومرماها .

كقوله : « حسن صحيح » ، و« حسن غريب » ، و« حسن صحيح غريب» و« حسن ليس إسناده بذاك القائم » .

وتفصيل معاني وإيضاح مرامي هذه الأوصاف ليس محلها هذا الكتاب ، وقد بسطنا تفصيل ذلك في شرحنا على « موقظة » الذهبي ، و« الحسن في ميزان الاحتجاج » .

وقد وصف البعض الترمذي بالتساهل ، وهو على خلاف ذلك ، كما بيناه في غير موضع .

وكتابه هذا من أنفع الكتب على الإطلاق، فجزاه الله عن المسلمين خير جزاء.

(٣)

« سنن النسائي »

ومصنفها : هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي .

وسننه فيها الصحيح والضعيف والشديد الضعف .

وسنن النسائي إذا أطلقت أريد بها « سنن المجتبى » وهي الصغرى للإمام النسائي ، فإن له « السنن الكبرى » ، والمجتبى ليس من اختصار تلميذه ابن السني كما زعم بعض أهل العلم بل هي من انتقائه ووضعه ، والله أعلم .

(٤)

« سنن ابن ماجه »

ومصنفها : هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ، الربعي القزويني .

وكتابه هذا نافع إلا أنه دون باقي الخمسة في المرتبة ، ففيه عدد كبير من الأحاديث الضعيفة ، وجملة من الأحاديث الموضوعة [١] .

وأما شروح هذه الكتب بحسب ترتيبها فهي

« فتح الباري » : للحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ وهو من أعظم الشروح على البخاري ، وإن كان لم يتم ، بل وصل فيه مؤلفه إلى كتاب الجنائز ، وهو مطبوع متداول ، فيه نوادر وفرائد وعلم غزير ، ونقول من كتب متعذرة .

« فتح الباري » : للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وهو من أجمع الشروح وأفضلها على صحيح البخاري ، والكتاب غني عن التعريف ، إلا أنه يجب التنبيه على أن الحافظ يوافق الأشاعرة في أبواب عدة في تأويل الصفات ، نعم ويخالفهم كذلك في أبواب أخرى ، فلابد من التنبه إلى شرحه لأحاديث الصفات ، وأبواب التوحيد ، ومنهج السلف معروف مشهور .

« عمدة القاري » : وهو من تأليف العلاَّمة بدر الدين العيني الحنفي ، وهو شرح كبير ، وفيه فوائد ، ولكنه لا يخلو من تأويل الصفات . .

« الكواكب الدراري » : للكرماني وهو دون الشروح التي تقدَّم ذكرها ، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من « الدرر الكامنة » (٤/ ٣١١) :

« هو شرح مفيد على أوهام فيه في النقل ، لأنه لم يأخذ إلا من

---

(١) هذه التراجم المختصرة نقلاً عن كتابي : « تيسير علوم الحديث للمبتدئين » .

الصحف».

(٢)

« **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** » : وهو شرح الإمام النووي ـ رحمه الله ـ وهو من أشهر شروح « صحيح مسلم » وأيسرها ، وأبسطها عبارة ، وأتمها فائدة ، على ما فيه من تأويل الصفات ، فلا يجب الركون إلى كلامه في أبواب الصفات إن خالف مذهب السلف .

« **المعلم بفوائد مسلم** » : للإمام المازري ، وهو شرح مختصر جداً .

« **إكمال المعلم** » : للقاضي عياض ، وقد نكّت فيه على كتاب المازري ، وعليه التعويل عند النووي في شرح مسلم ، وعند الحافظ ابن حجر في شرح البخاري .

« **المفهم** » : للقرطبي ، وهذه الشروح مطبوعة متداولة .

« **صيانة صحيح مسلم من الإسقاط والسقط** » : للإمام الشيخ ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ والمطبوع منه قطعة صغيرة ، تقع في مجيليد .

(٣)

« **عون المعبود شرح سنن أبي داود** » : للعلامة العظيم آبادي .

« **بذل المجهود شرح سنن أبي داود** » : للسهارنفوري .

(٤)

« **عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي** » : للعلامة الإمام ابن العربي المالكي .

« **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي** » للعلامة المباركفوري .

(٥)

« **الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد** » ، وبحاشيته : « **بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني** » : وكلاهما للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، فالأول قد رتب فيه المؤلف أحاديث المسند على الأبواب والكتب والثاني تناول فيه المؤلف أحاديث الكتاب بالتخريج المختصر ، والتعريف ببعض غريب الحديث، وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالأحاديث المذكورة .

(٦)

« **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك** » للإمام السيوطي .

« **شرح الزرقاني على الموطأ** » ، وهو شرح نافع .

كتب الحديث التي عنت بمسائل الفقه والأحكام :

ومن كتب الحديث التي بوبها مصنفوها على أبواب الفقه :

١ - السنن الكبرى - للبيهقي :

وهو من أجمع ما ألف في الأحكام ، بسرد الأخبار - الأحاديث والآثار - الواردة في الباب ، وهو نافع جداً من الناحية الفقهية والحديثية .

٢ - المحلى - لابن حزم :

وهو كتاب نافع جداً ، فريد في مسائله ، على نظر في جملة من أحكامه توسع فيها مؤلفه جرياً على مذهبه الظاهري .

٣ - الأوسط - لابن المنذر :

وهو كتاب دل على إمامة مؤلفه ورسوخ قدمه في الحديث والفقه ، ومعرفة الاتفاق والإجماع والاختلاف ومذاهب أهل العلم من لدن عصر الصحابة إلى عصره ، وقد صنفه على أبواب الفقه والأحكام ، وذكر فيه الاتفاق والاختلاف بين أهل العلم في مسائل الفقه ، مع ذكر أدلة وحجج الموافقين والمخالفين من

الكتاب والسنة بأسانيدها ، سواءً كانت مرفوعة أو موقوفة أو مقطوعة .

وقد أثنىٰ علىٰ هذا الكتاب أهل العلم ، فقد روىٰ ابن حزم في «الإحكام» (٥/ ١٢٢) بسنده إلىٰ القاضي أبي بكر يحيىٰ بن عبد الرحمن بن واقد أنه قال في وصف «الأوسط» :

هذا كتاب من لم يكن في بيته لم يشم رائحة العلم .

وكما أنه مصنف هام في الفقه ، فهو مصنف أهم في الحديث والسنن .

٤ ـ شرح معاني الآثار ـ للإمام الطحاوي ـ رحمه الله :

وقد أبان في مقدمة كتابه عن سبب تأليفه له ، وخطته فيه ، فقال ـ رحمه الله (١/ ١١) :

« سألني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتابا أذكر فيه الآثار المأثورة عن رسول الله ﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل الإلحاد والضعفة من أهل الإسلام أن بعضها ينقض بعضًا ، لقلة علمهم بناسخها من منسوخها ، وما يجب به العمل منها ، لما يشهد له من الكتاب الناطق ، والسنة المجتمع عليها ، وأجعل لذلك أبوابًا أذكر في كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ ، وتأويل العلماء ، واحتجاج بعضهم علىٰ بعض ، وإقامة الحجة لمن صح عندي قوله منهم ، بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم » .

وهذا الكتاب نافع جدًا من حيث الحديث والفقه جميعًا ، فمصنفه مشار له بالعلم والإتقان .

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ في ترجمته من « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٢٨) :

« برز في علم الحديث ، وفي الفقه » :

وقال (١٥/ ٣٠) :

« من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم ، وسعة معارفه » .

*** كتب غريب الحديث :**

واحرص أخي على كتب غريب الحديث ، فهي مما يساعدك على معرفة معاني غريب الحديث ، وفيها من الطرق والأسانيد ما ينفعك في تخريج الحديث، ومن أهم هذه الكتب ـ المطبوعة والمتداولة الآن :

١ ـ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام :

وهو كتاب نافع جدًا ، لا غنى لطالب العلم عنه ، وقد قضى فيه مؤلفه أربعين سنة في تصنيفه ، وقد تلقاه أهل العلم بالقبول في كل زمان ومكان ، على أن كل عمل لا يخلو من نقص ، وهو أول ما صنف في هذا المضمار .

٢ ـ غريب الحديث للخطابي :

وهو مطبوع متداول في ثلاثة مجلدات ، وقد استدرك فيه الخطابي ما فات أبا عبيد وابن قتيبة في كتابيهما في الغريب .

قال ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه (١/ ٤٧) :

« فكان أول من سبق إليه ، ودل من بعده عليه أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إمامًا لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتابًا لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صبابة للقول فيها متبرض ، توليت جمعها وتفسيرها مستعينًا بالله ، ومسترسلاً إلى ذلك بحسن هدايتهما ، وفضل إرشادهما » .

٣ ـ غريب الحديث للحربي :

والمطبوع منه المجلدة الخامسة ، وهي في ثلاثة أجزاء مطبوعة ، وقد رتبه

على مسانيد الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

٤ ـ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير :

وقد حاول أن يجمع فيها مواد ما أُلف قبله ، وهو نافع جداً ، وقد يُغني المبتديء عما فات ذكره من كتب الغريب والله أعلم .

*** كتب التراجم والرجال [(١)] :**

وأما ما ينبغي لك أن تعرفه من كتب التراجم والرجال ، التي تعين طالب الحديث في الوقوف على أحوال رواة الحديث من حيث القوة والضعف ، فأهمها :

١ ـ تهذيب الكمال :

للحافظ جمال الدين المزي ، وهو تهذيب لكتاب « الكمال في أسماء الرجال » الذي جمعه الحافظ عبد الغني المقدسي ـ رحمه الله ـ ، والذي أورد فيه تراجم رجال أسانيد الكتب الستة ، وقد أضاف المزي إضافات ، ونقح فيه ، وزاد عليه .

ثم أتى بعده الحافظ ابن حجر ، فهذَّب هذا الكتاب ، وأسقط الأسانيد منه ، وزاد عليه زيادات ، وعلق عليه تعليقات ، وأسماه :

٢ ـ تهذيب التهذيب :

وقد استفاد في كثير من تعليقاته من كتاب « **إكمال تهذيب الكمال** » **للحافظ علاء الدين مغلطاي** .

ثم اختصره جداً وقرب نفعه في كتاب أسماه :

---

(١) لم نقصد الاستيعاب ، وإنما ذكرنا أهم ما يلزم طالب العلم معرفته منها ، وما يغني منها عن باقي الكتاب في الرجال .

٣ ـ تقريب التهذيب :

وقد اكتفى في هذا الأخير بذكر اسم الراوي ، وطبقته ، ودرجته من حيث العدالة والجرح ، وهو كتاب نافع جداً ، يدل على إمامة الحافظ ابن حجر على نظر في بعض الأحكام .

٤ ـ الجرح والتعديل :

للحافظ الكبير عبد الرحمن بن الحافظ الجهبذ أبي حاتم الرازي ـ رحمهما الله تعالى .

ولم يقتصر على رجال الستة ، بل تعداهم إلى أكثر من عرف بالرواية وتحمل العلم ، أو من عرفت له رواية ، وإن كان مقلاً ، وكتابه هذا مكمل لـ «تهذيب التهذيب» لمن أراد الخوض في هذا العلم ، وقد بناه على كتاب «التاريخ الكبير» للإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى .

٥ ـ ميزان الاعتدال :

للحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ وقد جمع فيه مصنفه أسماء الضعفاء على اختلاف مراتب ضعفهم ، وأقوال من جرحهم ومن عدلهم ، وهو موسوعة كبيرة في أسماء الضعفاء ، ومصدر مهم من مصادر هذا العلم .

وقد هذبه الحافظ ابن حجر ، وزاد عليه زيادات ، ونقَّحه ، وسماه :

٦ ـ لسان الميزان .

٧ ـ سير أعلام النبلاء :

للحافظ الذهبي ـ كذلك :

وهو بحر زخار ، وحديقة غناء ، ذكر فيه أعيان الناس وعلمائهم وزهادهم وعبادهم وملوكهم وفسقتهم من أهل الإلحاد والزندقة .

وهو كتاب نافع جداً ، وأحد موسوعات الإسلام .

وتبقىٰ في المكتبة الإسلامية كتب أخرىٰ كثيرة جداً في هذا الفن .

كتب تخريج الحديث :

ويقصد بالتخريج :

« الدلالة علىٰ مصادر الحديث الأصلية ، وعزوه إليها ، وذلك بذكر من رواه من المؤلفين »[(١)].

وقد اهتم جماعة من أهل العلم المعاصرين بوضع المصنفات التي تعلم طالب العلم طرق التخريج ، ودراسة الأسانيد ، منها :

١ ـ أصول التخريج ودراسة الأسانيد :

لشيخنا العلاَّمة الدكتور محمود الطحان ـ حفظه الله :

وقد كان له السبق ـ وفقه الله ورعاه ـ في هذا المضمار ، فكتابه أول ما وضع في هذا الموضوع ، وأجمعه ، وأنفعه علىٰ الإطلاق .

وهو كتاب لا غنىٰ لطالب العلم عنه أبداً ، ففيه من المنهج العلمي ، والتسلسل المنطقي ، وغزارة المعلومات ما يجعله مقدماً علىٰ غيره .

٢ ـ طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ :

للدكتور : عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي .

٣ ـ كشف اللثام عن أسرار تخريج سيد الأنام ﷺ :

للدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف ، وعليه مؤاخذات .

والأجمع والأنفع الأول ـ كتاب شيخنا الطحان .

وهناك بعض الكتب اهتم مصنفوها بتخريج أحاديث كتب أخرىٰ إما في

---

(١) « أصول التخريج ، ودراسة الأسانيد » لشيخنا الدكتور محمود الطحان حفظه الله (ص : ٩) ، وقد تعقب علىٰ هذا الحد ، وليس هذا موضع بسط الكلام عليه .

التفسير ، أو في الفقه ، أو في أصول الفقه ، نذكر أهمها :

« نصب الراية » للإمام الزيلعي، و« التلخيص الحبير » للحافظ ابن حجر ، و«نتائج الأفكار تخريج أحاديث الأذكار » للحافظ أيضًا ، وقد خرج فيه أحاديث كتاب « الأذكار » للنووي ، ومنه جزء مطبوع متداول ، وغيرها من كتب التخاريج .

* كتب الاعتقاد :

وأما كتب الاعتقاد التي ينبغي لطالب العلم أن يحرص على قراءتها ودراستها ، فنذكر منها :

١ ـ كتاب السنة :

لأبي عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ، رحمهما الله تعالى .

وهو كتاب غزير النفع ، حجة في أقوال الإمام أحمد ، وقد حاول جماعة من المبتدعة ـ منهم السقاف الخبيث ـ نفى نسبة هذا الكتاب عن الإمام عبد الله ، وقد تكفلنا بالرد عليه في كتابنا « دفاعًا عن السلفية » (ص : ٢٠٠) .

٢ ـ كتاب السنة :

لأبي بكر الخلال ، وهو كتاب نافع جدًا ، وهو جزء من « جامعه » في مسائل الإمام أحمد ، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً حسنًا .

قال الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ في « السير » (١٤/ ٢٩٨) :

« ألف كتاب السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث في ثلاثة مجلدات ، تدل على إمامته وسعة علمه ، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد ، ودوَّنها وبرهنها بعد الثلاثمائة » .

وقال (١١/ ٢٩١) :

« ومن نظر في كتاب السنة لأبي بكر الخلال رأى فيه علمًا غزيرًا ونفعًا

كثيراً» .

٣ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة :

للإمام اللالكائي ، وهو موسوعة مرتبة على أبواب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، وسار فيها على طريقة المحدثين ، وهذا الكتاب من أعظم ما وضع في أبواب الاعتقاد .

٤ ـ الحجة في بيان المحجة :

لأبي القاسم الأصبهاني ، المعروف بـ « قِوام السنة » ، وهو مختصر .

٥ ـ كتاب الشريعة :

للإمام المحدِّث السني أبي بكر محمد بن الحسين الآجري رحمه الله .

وقد ذكر فيه جملة اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وأدلة هذا الاعتقاد من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين .

٦ ـ الإبانة :

لابن بطة العكبري ـ رحمه الله :

وهو من كتب أهل السنة المعتبرة عندهم ، والتي لا يستغني عنها طالب علم، وقد صدر في سبعة مجلدات ، ولم يكتمل ، وهو بمثابة المستخرج على كتاب شيخه الآجري المسمى بـ « الشريعة » .

٧ ـ البدع والنهي عنها :

للإمام محمد بن وضاح القرطبي محدّث الأندلس وعالمها في وقته .

وهو كتاب نافع جدًا ، إلا أن طبعته رديئة جدًا ، ولم يخدم الخدمة العلمية المرجوة ، حتى منَّ الله علينا بفضل خدمته وتصحيح أخطائه التي بلغت ما يزيد عن مائة وأربعين خطأ ما بين تصحيف أو تحريف أو سقط ، وقد قمت بتخريج

أخباره وتحقيقها من حيث الصحة والضعف .

٨ ـ كتاب السنة :

للسنِّي الكبير الحافظ أبي بكر ابن أبي عاصم ، وقد طبع بتحقيق العلاَّمة الألباني ـ رحمه الله ـ وهو متداول ، ثم طبع بعد بتحقيق الشيخ الجوابرة .

٩ ـ كتاب الأسماء والصفات :

لأبي بكر البيهقي ، وهو كتاب نافع ، إلا أنه يجب أن يُتنبه إلىٰ اعتقاد الرجل وكلامه ، فإنه منسوب إلىٰ الأشعرية ، وله تأويلات ، ولا يُنصح المبتدئ بقراءة هذا الكتاب ، وإنما يعاينه من استقرت عنده مسائل الاعتقاد علىٰ الوجه الصحيح ، علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة .

وتبقىٰ كتب أخرىٰ كثيرة مفيدة في هذا الباب ، يأتي في مقدمتها كتب ومصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وتليمذه ابن القيم ، وكتب المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب قامع بدع القبورية وشركيات الصوفية ، وسرد أسماء كتبهم مما يطول به الكلام .

* كتب التفسير :

وفيها وفرة في المكتبة الإسلامية ، إلا أن كثيراً منها علىٰ غير منهج أهل السنة والجماعة كتفسير الكشاف للزمخشري ، وغيره .

ومما ينصح طالب العلم بقراءته من تفاسير أهل السنة والجماعة :

١ ـ تفسير القرآن :

للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، رحمه الله .

٢ ـ تفسير القرآن :

للحافظ الكبير عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، رحمه الله : .

٣ ـ تفسير القرآن :

للحافظ الكبير سعيد بن منصور ، رحمه الله « صاحب السنن » .

٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن :

للإمام الحافظ الكبير ، المجتهد النحرير محمد بن جرير الطبري ، رحمه الله .

وهذه التفاسير على طريقة أهل الحديث من جهة سرد الأخبار الواردة في تفسير الآيات .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم :

لعماد الدين أبي الفداء ابن كثير ، وهو كتاب عظيم القدر ، جليل النفع ، سلفي المنهج ، أثري الطريقة ، استفاد فيه كثيراً من تفسير الإمام الطبري وتفسير ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهم .

٦ ـ تفسير الإمام الحافظ البغوي :

٧ ـ تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي :

وهو تفسير قيم نافع جداً ، مختصر ينتفع به العامي وطالب العلم .

وتبقى تفاسير أخرى لها مزايا وفيها عيوب .

*** كتب الفقه :**

وما أكثرها سواءً المختصرات أو المطولات ، ولست بصدد الكلام هنا على مختصرات ومطولات كتب الفقه حسب المذاهب المتبوعة ، ولكني سوف أذكر في هذا الفصل نخبة من كتب الفقه التي اعتمدت في مادتها على ذكر الدليل والأثر .

فقد كان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يذم كتب الرأي ـ [الفقه] ـ التي لا تحتوي

على الأخبار والأثر .

فعن عثمان بن سعيد الدارمي ، قال : قال لي أحمد بن حنبل :

« لا تنظر في كتب أبي عبيد ، ولا فيما وضع إسحاق ، ولا سفيان ، ولا الشافعي ، ولا مالك ، وعليك بالأصل » .

وفي مسائل إسحاق بن هانئ النيسابوري (١٩٠٩) :

« سألت أبا عبد الله عن : كتاب مالك ، والشافعي ، أحب إليك ؟ أو كتب أبي حنيفة ، وأبي يوسف ؟ فقال : الشافعي أعجب إليَّ ، هذا وإن كان وضع كتابًا ، فهؤلاء يفتون بالحديث ، وهذا يفتي بالرأي ، فكم بين هذين ؟! » .

فعلى طالب العلم أن يتخير في دراسته كتب الفقه التي اعتنت بذكر الدليل وترك التقليد ونبذ التعصب لمذهب معين ، ومن أفضل المختصرات في هذا الفن على الصفة المذكورة :

١ ـ الإقناع :

للإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبو بكر ابن المنذر النيسابوري ـ رحمه الله ـ فهو مختصر لطيف في أبواب الفقه ، سار فيه على طريقة المحدثين ، إلا أنه لم يستوعب فيه أدلة كل باب من أبواب الكتاب .

وثمة مختصرات أخرى نافعة إلا أنها تلتزم مذهب مصنفها ، وأكثرها لا تورد أدلة ما في الباب من المسائل .

*** وأما المطولات :**

فلا يفوتنك كتاب « الأوسط » لابن المنذر وهو كتاب قيم جدًا ، وقد سبق الكلام عليه ، ومثله كتاب « المغني » لابن قدامة المقدسي من الحنابلة ، و«المجموع» للإمام النووي .

وعليك بكتب المسائل عن الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن

حنبل - رحمه الله - فإن فيها علمًا جمًا ، ولا يفوتنك « الأم » للإمام الشافعي ، و«السنن الكبرى » للبيهقي ، و«معرفة السنن والآثار » له ، فإنها من الكتب النافعة جدًا .

فأهل الحديث فقههم مبني على النص الثابت ، لا على التقليد الأعمى ، والتعصب المذهبي .

* كتب السيرة والتاريخ :

وأشهرها « السيرة النبوية » لابن هشام .

و« الطبقات الكبرى » لابن سعد .

و« تاريخ الأمم والملوك » لابن جرير الطبري .

« والبداية والنهاية » لابن كثير .

والكلام على كل كتاب من هذه الكتب يحتمل أبوابًا .

* * *

حفظ الدروس

سبله، أوقاته، مواضعه

ومن أهم ما يعين الطالب على حفظ دروسه، أو استذكارها بصورة جيدة:

* إخلاص النية لله عزَّ وجل، واحتساب الأجر عنده سبحانه.

* اجتناب المحرمات، والمنهيات، ومحظورات الأفعال.

* تطييب الكسب، وأكل الحلال، والابتعاد عن الحرام.

* تخلية النفس من الشواغل، بحيث يصبح البال خاليًا، والفكر مرتاحًا حتى إذا أقبل على الحفظ لم يتعن فيه، ولم يبذل جهدًا إضافيًا لتحقيق هدفه.

* فلا يقدم على الحفظ وهو جائع، أو عطشان، أو متعب، أو مشغول الفكر بأمور أخرى.

* إعلاء الهمة، والكشف عن ساق الجد والاجتهاد، والمواظبة على تكرار الدرس لحصول الحفظ.

* عدم اليأس من سوء الحفظ مع كثرة التكرار، فإن اليأس أول درجات الفشل، فإذا تخلل إلى نفس الطالب، لم يحصل له ما يريده من الحفظ والاستذكار.

* تكرار الدرس بصوت يسمعه لأن سماع الدرس مما يعين على الحفظ.

* الاستعانة بالقلم والأوراق لتدوين ما يعين على الحفظ، أو لتكرار الدرس كتابة.

* وقبل هذا كله: ألتزام تقوى الله، فقد قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال سبحانه :

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ـ ٣] .

*** وأما أفضل أوقات الحفظ :**

فقال العلامة ابن جماعة ـ رحمه الله [١] :

« **أجود الأوقات للحفظ** : الأسحار ، وللبحث الأبكار ، وللكتابة وسط النهار ، وللمطالعة والمذاكرة الليل » .

وقال الخطيب : أجود أوقات الحفظ الأسحار ، ثم وسط النهار ، ثم الغداة ، قال : وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع[٢] أنفع من وقت الشبع » .

*** وأفضل مواضع الحفظ :**

فكل مكان تستريح إليه النفس ، وتحصل فيه السكينة ، ولا يكون فيه من الملهيات ما قد يعطّل على طالب العلم عملية الحفظ .

قال ابن جماعة ، نقلاً عن الخطيب ، قوله [٣] :

« وأجود أماكن الحفظ : الغرف ، وكل موضع بعيد عن الملهيات ، قال : وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات ، والخضرة ، والأنهار ، وقوارع الطرق ، وضجيج الأصوات ، لأنها تمنع من خلو القلب غالبًا » .

* * *

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » (ص : ٧٢ـ ٧٣) .
(٢) ليس المقصود بالجوع هنا الجوع الشديد الذي يصرف الإنسان عن التركيز في حفظه وفهمه ، وإنما المقصود به التوسط بين الامتلاء الشديد ، والفراغ الشديد .
(٣) « تذكرة السامع والمتكلم » (ص : ٢٩) .

أهمية التصنيف وكتابة البحوث ومكانتها من شحذ القرائح العلمية

ثم اعلم - بارك الله فيك :

أن من أهم وسائل شحذ القرائح العلمية ، وجرد الكتب ، والاطلاع على خطط مؤلفيها ، وطريقة ترتيبها ، والتدريب على الترجيح بين الأقوال ، واستبعاد المرجوح ، وإثبات الراجح : التصنيف وكتابة البحوث .

قال العلامة بدر الدين ابن جماعة - رحمه الله - في آداب العالم في نفسه[1] :

« الاشتغال بالتصنيف ، والجمع ، والتأليف ، لكن مع تمام الفضيلة ، وكمال الأهلية ، فإنه : يطلع على حقائق الفنون ، ودقائق العلوم ، للاحتياج إلى كثرة التفتيش ، والمطالعة ، والتنقيب ، والمراجعة ، وهو كما قال الخطيب البغدادي : يثبت الحفظ ، ويذكي القلب ، ويشحذ الطبع ، ويجود البيان ، ويكسب جميل الذكر ، وجزيل الأجر ، ويخلده إلى آخر الدهر .

والأولى أن يعتني بما يعم نفعه ، وتكثر الحاجة إليه ، وليكن اعتناؤه بما لم يُسبق إلى تصنيفه ، متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه ، معرضًا عن التطويل الممل ، والإيجاز المخل ، مع إعطاء كل مصنف ما يليق به .

ولا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه ، وتكرير النظر فيه وترتيبه » .

قلت : وهو جائز - أي التصنيف وكتابة البحوث - وقت الطلب إذا كانت نية طالب العلم منه شحذ قريحته العلمية ، وزيادة البحث ، وتحصيل المنفعة ، على ألا يعمل على نشره بين الناس إلا بعد مراجعة من تحققت أهليته في العلم له ،

(١) « تذكرة السامع والمتكلم » (ص : ٢٨) .

وإجازته لما جاء فيه ، وعدم مخالفة مادته للأصول العلمية المتفق عليها، وعدم احتوائه على مناكير المسائل وشواذ الأقوال .

ولا أرى لطالب العلم أن يتصدر لهذا الأمر إلا بعد أن يُتم مختصرا - في العلم الذي ينوي البحث فيه - وشرحه على الأقل ، وإلا فكيف يخوض فيما لا يملك أدواته ؟!

وعليه أن يحسّن نيته في ذلك، وأن ينوي في نفسه نفعها بالعمل بما سوف يترجح عنده ، ويدفع عن نفسه حظوظ الدنيا وأغراضها ، فإنها مما تمحق ثواب العمل .

* * *

عوائق طلب العلم

واعلم - يا أخي :

أن للعلم عوائق تحول بين المرء وبين طلبه ، وسوف نتعرف في هـذا الفصل - إن شـاء الله تعـالى - على بعض هذه العـوائق وكـيف يمكن لطالب العـلم أن يتفاداها ، لتحقيق الدرجة العليا من التحصيل .

*** من هذه العوائق :**

١ - الفوضى في طلب العلم :

وقد سبق أن ذكرنا أنه ضروري جداً لطالب العلم أن يحدِّد هدفه وبغيته ، لكي لا يضرب ضرب عشواء في طلب العلم .

وعائق الفوضى في الطلب من أعظم العوائق بين طلب العلم ، خصوصًا إذا افتقد الشيخ والمرشد .

وللفوضى في طلب العلم صور شتى :

فمنها : أن يدرس الطالب أكثر من مختصر في علم واحد وفي آن واحد ، ويزيد الطين بلة إذا كان يعتمد على نفسه في قراءة هذه المختصرات .

ومنها : أن يشتت الطالب نفسه بين المطولات وهو لا يزال حدثًا لم ينته من قراءة مختصر في العلم الذي يطلبه .

ومنها : أن يشتت نفسه في مسائل الخلاف ، وهو لم يؤصل قواعد العلم الذي يدرسه .

ومنها : أن يدرس الطالب جزءًا من كتاب ، ثم يتركه ليدرس كتابًا آخر ،

وهكذا ، فهو ينتقل بين الكتب بلا فائدة .

ومن هنا كان شرط الشيخ في الطلب شرطًا هامًا ، لأنه أعلم بمختصرات ومطولات العلم ، وما ينفع المبتدئ منها ، وما يجزئه عن بعضها .

فإذا لم يكن للطالب شيخ فليسأل أهل التخصص عما يبدأ به من المختصرات ، فإذا انتهى من قراءة المختصر أو حفظه ، سأل عن أفضل الشروح لهذا المختصر ، حتى يصل إلى المطولات .

فالتدرج في الطلب هو الحل الناجح لهذا العائق .

٢ ـ أخذ العلم عن الأصاغر :

وقد قيل في تفسير الأصاغر : هم أهل البدع .

وفسرها بعض أهل العلم بأنهم صغار الأسنان ، والأحداث في العلم ، وكلاهما صحيح .

وسوف نتكلم عن هذا العائق في « **محاذير طلب العلم** » .

٣ ـ الاعتماد الكلي على الكتب في طلب العلم :

فكما لا يجب على طالب العلم أن يكون متهاونًا في طلب العلوم الشرعية بدعوى عدم وجود الشيخ ، أو عدم ملائمة الظروف للطلب على الشيوخ ، فكذلك لا يجب أن ينكب انكبابًا كليًا على طلب العلم من الصحف والكتب .

فهو مما يُعاب على طالب العلم ، ومما يحذر منه في طلب العلم .

ف « الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأسانيد ، والمثافنة للأشياخ ، والأخذ من أفواه الرجال ، لا من الصحف وبطون الكتب ، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق ، وهو : المعلم ، أما الثاني :

عن الكتاب ، فهو جماد ، فأنى له اتصال النسب » .

وفي الكتب من الخبايا ، ما لا يعلمها إلا الأستاذ أو الشيخ ، فكم من لفظ معجم ، وكم من اسم محرف ، وكم من نسبة مصحفة ، وكم من سقط يضر بالمعنى ، وكم من فائدة لا يعلمها مبتدئ الطلب ، وكم من قاعدة لها تقييد في حالات ، وتعتيم في حالات أخرى ، كل هذا ليس له إلا الشيخ المتقن ، أو الأستاذ المحقق .

ولأجل ذلك ترى جماعة من المحدثين لا يعتمدون الرواية بالإجازة ، لما فيها من التسمح والتوسع المذموم ، فالمُجاز لم يتلق ما أجيز به مشافهة ، ولا هو عارضه بأصل الشيخ ، ولا قرأه عليه ، فهو مظنة للخطأ والزلل ، ومن أجازها ، جعلها دون المشافهة والسماع ، لما في هذا الأخير من الضبط والإتقان ، والأخذ من فم الشيخ ، أو المقابلة على كتابه الموثق .

ولكن هذا لا يعني : أن يعطل أحدنا عقله إذا لم يجد الشيخ أو الأستاذ، بدعوى البحث عنه .

فهذا الصنف إذ لم يوفق له شيخ يطلب العلم عليه ، وكان حسن الفهم ، جيد التلقي ، فليبدأ بقراءة العلوم ، مع استلهام التوفيق من الله بدعائه سبحانه والتضرع إليه أن يوفقه في طلب العلم ، ويفتح له من أبواب علمه ما يعينه على الفهم والتدين بما علم .

وليبدأ بالكتاب والسنة ، فيجعل له وردًا من القرآن يقرأه ، ووردًا ليحفظه في كل يوم ، ولينظر في « تفسير ابن كثير » ، فإنه من أفضل التفاسير .

وليقرأ صحيح البخاري ، وشرح الحافظ ابن حجر عليه « فتح الباري » ، وصحيح مسلم وشرح الإمام النووي عليه .

فعسىٰ الله سبحانه أن يرزقه الهمة فيما بعد ، ويوفقه في طلب علوم أخري من علوم الشرع .

٤ ـ الانشغال بتحصيل الرزق والمعاش :

ومن أكبر عوائق الطلب انشغال طالب العلم بالكد علىٰ الأهل ، وتحصيل رزقهم ، وتأمين معاشهم ، وهو عائق يحتاج إلىٰ جهد كبير لتجاوزه .

وأول ما ينبغي لطالب العلم أن يفعله لتجاوز هذا العائق :

أن يعتقد اعتقاداً جازمًا أن انشغاله بالكد علىٰ الأهل ، والعمل لتحصيل الرزق لا يقل أهمية عن طلب العلم ، لا سيما إذا كان ما يطلبه من العلوم من فروض الكفاية ، وكان عمله هو المصدر الوحيد لإعالة من يلزمه إعالتهم فكثير من طلاب العلم قد يصيبهم الحزن والأسىٰ بالدرجة التي تبلغهم من الفشل في طلب العلم لإحساسهم بإنفاق كرائم أوقاتهم في طلب المعاش والرزق .

بل علىٰ هؤلاء أن يقووا عزائمهم ، ويشحذوا هممهم ، ويرتبوا أوقاتهم لتحصيل المعاش والعلم معًا .

فينظرون كم ساعة يعملون في اليوم ، وكم ساعة يفرغون من العمل ، فيجعلون جزءاً من فراغهم في طلب العلم ، وإن كان قليلاً .

تجربة للمؤلف :

وأسوق إلىٰ إخواني تجربة العبد الفقير في طلب العلم أثناء انشغالي بتحصيل الرزق والمعاش في فترة من حياتي .

فقد كنت أعمل في إحدىٰ الهيئات التي تقوم علىٰ خدمة السنة ، وكان عملي فيها يبدأ من الساعة التاسعة صباحًا حتىٰ الثانية ظهرًا ، ومن الرابعة عصراً حتىٰ الثامنة مساءً .

وكان يلزمني لبلوغ منزلي ربع ساعة من الزمان ، وقد يسر الله لي زوجة أعانتني على طلب العلم ، فما كنت أصل إلى منزلي حتى أجد أهلي قد هيأوا لي الطعام ، فأجلس لأطعم ، ثم أقوم لأبدأ قراءتي من الساعة الثانية والنصف حتى الساعة الرابعة إلا الربع .

ثم أعود مساءً فأذهب إلى أحد مشايخي وهو الشيخ محمود الطحان حفظه الله ، بعد صلاة العشاء للقراءة عليه ، وكان درسنا آن ذاك من كتاب « تخريج الأحاديث » ثم أعود إلى منزلي ، فإن يُسر لي بعض الوقت قرأت شيئًا من العلم ، أو اشتغلت بتخريج بعض الأحاديث .

وأما يوم الجمعة فكنت أذهب لزيارة أهلي ، وكنت أصطحب معي كتبي وأوراقي لكي أكتب ، أو أقرأ ما تيسر لي في هذا الوقت ، ولربما قرأت في السيارة فيما بين مكان عملي ومنزلي ، أو فيما بين منزلي ، ومنزل والدي ، وكل هذا من فضل الله ومنه ، وفضل الله يؤتيه من يشاء .

٥ ـ الاستعلاء في الطلب :

وهو أن يستعلي بنفسه ويترفع عن الأخذ ممن هو في سنه ، أو أصغر منه ، أو دونه في النسب ، أو المنصب .

قال ابن الجماعة ـ رحمه الله ـ في آداب طالب العلم في نفسه :

« ألا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبًا أو نسبًا ، أو سنًا ، بل يكون حريصًا على الفائدة حيث كانت ، والحكمة ضالة المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها» .

قال سعيد بن جبير :

لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم ، فإذا ترك التعلم وظن أنه استغنى واكتفى بما

عنده ، فهو أجهل ما يكون .

وأنشد بعض العرب :

وليس العمىٰ طول السؤال وإنما تمام العمىٰ طول السكوت علىٰ الجهل

وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم ، قال الحميدي - وهو تلميذ الشافعي : صحبت الشافعي من مكة إلىٰ مصر ، فكنت أستفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث .

وقال أحمد بن حنبل : قال لنا الشافعي : أنتم أعلم بالحديث مني ، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتىٰ آخذ به .

وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين ، وأبلغ من ذلك كله :

قراءة رسول الله ﷺ علىٰ أُبي ، وقال : « أمرني الله أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البينة : ١] » قالوا : من فوائده ألا يمتنع الفاضل من الأخذ عن المفضول» .

كانت هذه بعض عوائق طلب العلم ، وتبقىٰ عوائق أخرىٰ لم أذكرها في هذا الباب ، استغناء بالتنبيه عليها ، أو بالإشارة إليها في أبواب أخرىٰ ، والله الموفق إلىٰ سواء السبيل .

***

أخلاق طالب العلم

يجب على طالب العلم أن يتحلى بجميل الأخلاق ، وكريم الطبائع ، وأحاسن العادات ، فهو :

١ ـ مخلص لله سبحانه وتعالى :

لا يشرك في عمله مع الله أحدًا ، بل يخلص العمل لله عز وجل وحده ، فلا يماري بعمله ولا يرائي ، ولا يطلب به غرضًا زائلا من أغراض الدنيا ، بل همه إخلاص العمل لوجه الله سبحانه وتعالى .

لأن الله عز وجل قال في محكم التنزيل :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال رسول الله ﷺ :

« **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ...** »(١) .

ثم هو :

٢ـ سلفي أثري محض :

متبع للكتاب والسنة ، وملتزم بهما ، فلا يخالفهما إلى مبتدعات العقول ، ومستحسنات الأهواء ، بل هو يعبد الله عز وجل بـ : قال الله ، وبـ : قال رسول الله ﷺ .

فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

---

(١) تقدم تخريجه .

وقال الرسول ﷺ في خطبته التي وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون :

« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها،وعضوا عليها بالنواجذ ،وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[١] .

وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[٢] .

وكان ﷺ إذا خطب يقول :

« أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[٣] .

وهو كذلك :

٣ ـ تقي ورع ظاهرًا وباطنًا :

وشعاره في ذلك قوله عز وجل:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

---

(١) حديث صحيح :
من حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ وهو مخرَّج في تحقيقي على كتاب « المذكِّر والتذكير والذكر » لابن أبي عاصم .

(٢) حديث صحيح :
أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٤٠) ، و البخاري (٢/ ١١٢) ، ومسلم (٣/ ١٣٤٣) ، وأبو داود (٤٦٠٦) ، وابن ماجه (١٤) من طريق :
سعد بن إبراهيم ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة به .

(٣) حديث صحيح :
أخرجه أحمد (٣/ ٣١٩ ، ٣٧١) ، ومسلم (٢/ ٥٩٢) ، والنسائي (٣/ ١٨٨) ، وابن ماجه (٤٥) من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه .

وهو :

ورع في دين الله :

إذا اشتبه عليه أمر أو حكم أخذ بالأحوط ، عملاً بقول النبي الأمين ﷺ :

« الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في الأرض محارمه »[1].

قال ابن جماعة ـ رحمه الله ـ في النوع السابع من آداب المتعلم في نفسه [2] :

«أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ، ويتحرىٰ الحلال في طعامه ، وشرابه ، ولباسه ، ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه وعياله ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره ، والنفع به ، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحل شرعا مهما أمكنه التورع ، ولم تلجئه حاجة ، أو يجعل حظه الجواز ، بل يطلب الرتبة العليا .

ويقتدي بمن سلف من العلماء الصالحين ، في التورع عن كثير مما كانوا يفتون بجوازه ، وأحق من اقتدي به في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ ، حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة ، مع بعد كونها منها ، ولأن أهل العلم يقتدىٰ بهم ، ويُؤخذ عنهم ، فإذا لم يستعملوا

(١) حديث صحيح :
أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٩ ، ٢٧٠) ، والبخاري (١/ ١٩ ـ ٢/ ٣) ، ومسلم (٣/ ١٢١٩)، وأبو داود (٣٣٢٩ ، ٣٣٠) ، والترمذي (١٢٠٥) ، و النسائي (٧/ ٢٤١ و ٨/ ٣٢٧) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ .

(٢) « تذكرة السامع والمتكلم » (ص : ٧٥) .

الورع فمن يستعمله ؟!

وينبغي له أن يستعمل الرخص في مواضعها عند الحاجة إليها ، ووجود سببها ليُقتدىٰ به فيه ، فإن الله يعالىٰ يحب أن تؤتىٰ رخصه ، كما يجب أن تؤتىٰ عزائمه ».

وقال الإمام الزرنوجي [١]:

« مهما كان طالب العلم أورع ، كان علمه أنفع ، والتعلم له أيسر ، وفوائده أكثر ».

ومن الورع الكامل : أن يحترز عن الشبع ، وكثرة النوم ، وكثرة الكلام فيما لا ينفع ، وأن يتحرىٰ عن أكل طعام السوق إن أمكن ، لأن طعام السوق أقرب إلىٰ النجاسة والخيانة ، وأبعد عن ذكر الله وأقرب إلىٰ الغفلة ولأن أبصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون علىٰ الشراء منه ، فيتأذون بذلك ، فتذهب بركته».

وهو متواضع غير متكبر:

يطلب العلم من الصغير والكبير ممن ثبت أهليته فيه ، فلا يستنكف أن ينتفع بعلم من دونه في السن ، ولا يتكبر علىٰ من دونه في العلم ، بل يرشده إلىٰ الصواب ، ويعلمه ما يجهله ، ولا يضن عليه بدرس سمعه ، أو بفائدة قيدها .

فقد علم من سنة النبي ﷺ أن الكبر :

«بطر الحق وغمط الناس »[٢].

قال ابن الصلاح ـ رحمه الله [٣]:

---

(١) « تعليم المتعلم » : (ص : ٥٠ـ ٥١) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٥)ـ الطبعة السلطانية ـ والترمذي (١٩٩٩) من طريق : فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود به .

(٣) « صيانة صحيح مسلم » : (ص : ٢٧٠) .

«بطر الحق»: معناه: حجر الحق ترفعًا عنه وتجبرًا، «وغمط الناس»: احتقارهم والإزراء بهم.

وهو:

٥ ـ معتزل لفضول الصحبة، وفائض الكلام:

لأنه تَعَلَّم أن لسان المرء يكبه على وجهه في النار يوم القيامة، وأن المرء لا ينبغي أن ينشغل إلا بما يعينه على عبادة ربه وحسن ذكره تعالى.

وكذلك، فقد علم أن الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، فالتزم ما أمر به النبي ﷺ، ألا وهو لزوم البيت، وملك اللسان.

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ:

أن النبي ﷺ قال:

«إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه، وقال: فقمت إليه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال:

«الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[1].

وهذه العزلة التي يعمد إليها ليست عزلة المتصوفة، ولا عزلة الرهبانية، وإنما هي عزلة أهل السنة التي تكون من فضول الصحبة، وما لا يأتي من ورائه طائل من المجالس، فكما أنه يعتزل من ضرره أقرب من نفعه، فهو لا يعتزل المساجد، والجماعة والجمعات، بل يحافظ عليها، ويشتد بنفسه إليها.

---

(١) حديث حسن، وهو مخرَّج في كتابي «أخلاق محمودة وأخلاق مذمومة في طلب العلم» (ص: ٤٥ـ٤٦).

وهو :

٦ ـ يعمل بما تعلم :

فقد تعلم من سنة النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه :

« **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يُستجاب لها** »[١].

ولذلك قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه :

إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يُقال لي : لقد علمت ، فماذا عملت فيما علمت [٢].

وهو :

٧ـ لا يحدث الناس بما لا تبلغه عقولهم :

فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال :

أيها الناس ! أتريدون أن تكذبوا الله ورسوله ، حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون [٣].

وكما أنه كذلك ، فهو :

٨ ـ لا يكتم علمًا نافعًا :

لأن الله عز وجل ورسوله قد حذروا من ذلك أشد تحذير .

---

(١) حديث صحيح :
أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨) من حديث زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه .

(٢) ورد من طرق كثيرة عن أبي الدرداء وانظر تفصيلها في كتابنا « أخلاق محمودة » (ص : ٨٦ـ٨٧) .

(٣) أخرجه البخاري (فتح : ١/ ١٨٢) ، والبيهقي في « المدخل » (٦١٠) .

فقال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة : ١٥٩] .

وقال ﷺ :

« من كتم علمًا يعلمه ، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[١].

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال :

علم لا يقال به ، ككنز لا ينفق منه [٢].

وهو :

٩ ـ لا يجادل جاهلا ولا يخاصم مبتدعًا :

فعن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ :

من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل[٣].

وعن مسلم بن يسار ـ رحمه الله أنه كان يقول :

إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم ، وبها يبتغي الشيطان زلته [٤].

وهوفوق هذا كله :

١٠ ـ نظيف البدن والثوب والقلب.

***

(١) حديث صحيح ، وقد أفردته بالدراسة في جزء من حديثي لطيف .

(٢) أخرجه أبو خيثمة في « العلم » (١٢) ، والدارمي (٥٥٥) ، والبيهقي في «المدخل » (٥٧٦) بسند صحيح .

(٣) أخرجه الآجري في « الشريعة » (ص : ٥٦) بسند صحيح .

(٤) أخرجه الدارمي (٣٩٦) ، والآجري (ص : ٥٦) ، وسنده صحيح .

الهمة في طلب العلم

إعلاؤها وأسباب هبوطها (*)

الهمة : هي الباعث على الفعل .

وقد توصف بالعلو ، فيقال : فلان همته عالية ، أي بواعثه على الفعل قوية ، وبذله الأسباب في سبيل تحقيقه شديد ، وقد توصف بالقصور أو الدنو أو الضعف ، فيقال : فلان همته ضعيفة ، أي بذله الأسباب في سبيل تحقيق غرضه ضعيف ، أو منعدم .

وطالب العلم لابد أن يتحلى بالهمة العالية ، والعزيمة القوية في طلب العلم .

فالعلم على علو مكانته ، وعظم شأنه ، وسهولة تحصيله ، يحتاج إلى همم عالية ، وعزائم قوية لتحقيق مراد طالب العلم منه ، ألا وهو تحصيله بما يعود عليه بالنفع وهو العمل به .

قال الإمام الزرنوجي - رحمه الله (١) :

« فصل » في الجد والمواظبة والهمة :

ثم لا بد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم ، وإليه الإشارة في القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢] ، وقد قيل : من طلب شيئًا وجدَّ وَجَدَ ، ومن قرع الباب ولَجَّ ولج ، وقيل : بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى » .

ولذا كان ضروريًا على طالب العلم أن يهتم بإعلاء همته كلما ضعفت ،

(*) انظر كتاب « الهمة طريق إلى القمة » لمحمد بن حسن بن عقيل ، وقد نقلنا بعض عباراته على وجهها .

(١) « تعليم المتعلم » : (ص : ٢٢) .

والابتعاد عن أسباب ضعفها وهبوطها ، ومن أسباب ، ضعفها :

١ ـ كثرة الزيارة للأقارب بدون هدف شرعي صحيح .

٢ ـ كثرة الزيارة للأصحاب والإخوان تحت دعاوي الأخوة والصلة في الله دون أن يكون من وراء هذه الزيارات إلا الآثام والمفاسد الشرعية .

وهذان السببان يمكن إيجازهما في سبب واحد وهو : التزام فضول الصحبة ، والحرص على تحصيلها دون غرض شرعي معتبر .

٣ ـ الانهماك في تحصيل الرزق ، بما يضيع أوقات الطلب ، أو تعكيرها .

٤ ـ كثرة التمتع بالمباح من الطعام والشراب واللباس . . . وغيرها ، مما يضيع على طالب العلم وقته وجهده في سبيل تحصيلها ، فتفتر همته عن طلب العلم .

٥ ـ الاستجابة للصوارف الأسرية استجابة كلية ، أو شبه كلية ، والأولى بالزوجة أو من يلزم الطالب إعالته أن يعينه على طلب العلم ، وإلا يفسد عليه وقته بمشاكله الخاصة واحتياجاته الكثيرة .

ولذلك كان لزامًا على طالب العلم أن يسبر همته بين كل حين وحين ، ولينظر إلى علوها من دنوها ، ويعمل على إعلائها إذا دنت ، أو تقويتها إذا ضعفت .

***

أهمية الوقت
في طلب العلم

ثم احذر : من أن تضيع وقتك فيما يضرك ، أو فيما لا ينفعك ، فإنما حياتك أيام ، فإذا ذهب يوم منها ، ذهب بعضها ، فاحرص على وقتك واشغله بما ينفع .

قال ابن الجوزي :

« ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل » .

ومن صور الحفاظ على الوقت ، وعدم تضييعه:

المبادرة إلى طلب العلوم في الشباب ، فإن هذا الوقت من العمر وقت القوة، والهمة ، والعزيمة .

قال ابن الجماعة ـ رحمه الله [1] :

« يبادر ـ [أي طالب العلم] ـ شبابه ، وأوقات عمره إلى التحصيل ، ولا يغتر بخدع التسويف والتأميل ، فإن كل ساعة تمضي من عمره ، لا بدل لها ، ولا عوض عنها » .

وقال الزرنوجي [2] :

« فيغتنم أيام الحداثة وعنفوان الشباب ، كما قيل :

(١) « تذكرة السامع » : (ص : ٧٠) .
(٢) « تعليم المتعلم » : (ص ٢٤) .

بقدر الكد تعطى ما تروم فمن رام المُنى ليلا يقوم
وأيام الحداثة فاغتنمهـــا ألا إن الحداثة لا تدوم »

ومنها :

تنظيم الأوقات في طلب العلوم، وترتيبها بما يتناسب مع كل علم ، وبما يعود بالنفع الكثير على الطالب .

قال ابن جماعة في النوع الخامس من آداب طالب العلم في نفسه (١) :

«أن يقسم أوقات ليله ونهاره ، ويغتنم ما بقي من عمره ، فإن بقية العمر لا قيمة له » .

ترك فضول الصحبة ، والخروج إلى الطرقات والأسواق :

فمثل هذه المجالس ضررها أقرب من نفعها ، ولذا وجب الاحتراز منها ، فأقل أضرارها ضياع وقت جالسيها ، وعدم حصول المنفعة لهم من وراء جلستهم ، لكثرة ما يكون فيها من لغو وغلط .

ترك فضول النوم ، فلا ينال منه إلا ما يحتاج إليه .

قال ابن جماعة في آداب طالب العلم في نفسه (٢) :

« أن يقلل نومه ما لم يلحقه ضرر في بدنه وذهنه ، ولا يزيد في نومه في اليوم والليلة على ثمان ساعات ، وهو ثلث الزمان ، فإن احتمل حاله أقل منها فعل » .

ترك فضول الاهتمام بتحصيل المباحات من أكل وشرب ، ووطء، فإنه

---
(١) « تذكرة السامع » : (ص : ٧٢) .
(٢) المصدر السابق : (ص : ٧٧) .

منفقة للوقت ، سواء في التحصيل أو في تهيئة أسبابها .

فالواجب عليك أخي طالب العلم أن تحافظ على وقتك ، ولا تنفقه إلا فيما ينفع ، فإنه من رأس مالك ، فاحرص عليه حرصك على طلب العلم ، والله الموفق.

* * *

صور من حفاظ العلماء على أوقاتهم

هذا : وقد كان سلفنا الصالح من أحرص الناس على أوقاتهم ، فلا يهدرونها فيما لا ينفع ، ولا يبذلونها فيما لا يأتي من ورائه طائل ، بل كانوا ينفقونها في سبيل الله ، فيشغلونها في طلب العلم ، وفي التطوع ، وفي التسبيح والاستغفار ، وفي التعليم ، وفي عموم الطاعات .

وفي سيرة علمائنا الأفاضل ، ما يحثنا على الحفاظ على أوقاتنا ، وترك إضاعتها .

فها هو الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر - رحمه الله - صاحب التصانيف الكثيرة النافعة ، كان لا يضيع لحظة من وقته إلا في طاعة الله .

قال ابنه بهاء الدين [١] :

« كان أبي - رحمه الله - مواظبًا على الجماعة والتلاوة ، يختم كل جمعة ، ويختم في رمضان كل يوم ، ويعتكف في المنارة الشرقية - من جامع دمشق - وكان كثير النوافل والأذكار ، يحيي ليلة النصف من شعبان ، والعيدين بالصلاة والذكر ، وكان يحاسب نفسه على لحظة تذهب ، لم يشتغل منذ أربعين سنة - أي منذ أذن له شيوخه بالرواية والتحديث - إلا بالجمع ، والتسميع حتى في نزهته وخلوته » .

---

(١) « تذكرة الحفاظ » للذهبي (٤/ ١٣٣١) .

وكان بعض العلماء لا يضيع وقته حتىٰ وهو سائر في الطريق، بل يشتغل في هذا الوقت بما ينفعه .

من هؤلاء : الحافظ الكبير أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله .

قال الحافظ الذهبي في ترجمته من « تذكرة الحفاظ » [١] :

« قال أحمد بن محمد بن مردويه : كان أبو نعيم في وقته مر حولا إليه ، لم يكن في أفق مَن الآفاق أحد أحفظ منه ، ولا أسند منه ، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلىٰ قريب الظهر ، فإذا قام إلىٰ داره ، ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء ، وكان لا يضجر ، لم يكن له غذاء سوىٰ التسميع والتصنيف » .

ومن علماء العصر الذين حافظوا علىٰ أوقاتهم ، وحرصوا علىٰ عمارتها بما ينفع ، وأنفقوها في طلب العلم شيخ المحدثين وإمام العلماء الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله .

فقد كان - رحمه الله - ينفق جل أوقاته في المكتبة الظاهرية طلبًا للعلم ، فيغلق دكانه ، ويبقىٰ فيها اثنتي عشرة ساعة ، لا يفتر عن المطالعة ، والتعليق ، والتحقيق ، إلا أثناء فترات الصلاة ، حتىٰ طعامه لا يتناوله إلا في المكتبة ، وكان - رحمه الله - أول من يدخل إلىٰ المكتبة وآخر من يخرج منها .

ففي سير هؤلاء العلماء الأجلاء أسوة حسنة لنا وعبرة جليلة .

***

(١) « تذكرة الحفاظ » (٣/ ١٠٩٤) .

محاذير طلب العلم

ولا يفوتني - أخي طالب العلم - أن أنبهك في هذا المختصر اللطيف إلى بعض المحاذير الشرعية التي قد يقع فيها طالب العلم - خصوصًا المبتدئ - والتي قد تكون سببًا في ضياع أجره ، أو ثبوت وزره فمن هذه المحاذير :

١ - الترفع عن الناس بالعلم :

والتكبر عليهم ، والعجب بالنفس ، لمجرد قراءة مختصر ، أو سرد مطول ، فالأصل في العلم الذي ينفع صاحبه أن يكون مما يُكسبه الخشية لله تعالى .

فقد قال ابن مسعود - رضي الله عنه - :

« ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية »[١] .

ولو علم هذا المُتكبر أصله ومآله ، وأخلص نيته لله تعالى لبرأ من هذا الداء ، الذي إن تمكن من صاحبه فتك به فإنه يورث حب النفس ، وترك العمل بالعلم ، فإنما العلم للعمل والنصح للمسلمين .

وفي ذلك يقول الحسن البصري - رحمه الله - :

« إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه عز وجل[٢] .

٢ - تلقي العلم عن الأصاغر :

والأصاغر هم : أهل البدع .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣١) ، والبيهقي في « المدخل » (٤٨٦) بسند صحيح .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٤٧)بسند حسن .

فإن المبتدع قد رضي لنفسه ما يخالف دين الله القويم ، وأنشأ بلسان حاله يقول : إن الله لم يتم الدين ، وإن محمداً ﷺ لم يبلغ جميع الرسالة .

فلا شك أن مجالسة من هذه صفته شر محض ، لا يتأتى من ورائها إلا الضرر ، فإنه إن لم يُصب جليسه ببدعته ، فأقل أحواله أن يلقي إليه شبهه ، فيجعله في حيرة من أمره .

وقد قال النبي ﷺ :

« إنما مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ،وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»(١).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله (٢) :

« فيه فضيلة مجالسة الصالحين ، وأهل الخير والمروءة ، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، ونهى عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ، ومن يغتاب الناس ، أو من يكثر فجوره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة » .

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :

« لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن الأكابر ، وعن أمنائهم

---

(١) حديث صحيح .
أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٨) ، والبخاري (٣/ ٣١٤) ، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦) ، وأبو الشيخ في « الأمثال » (٣٢٥) من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه .
(٢) « شرح صحيح مسلم » ـ طبعة الشعب ـ (٥/ ٤٨٤) .

وعلمائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا »(١) .

قال ابن المبارك - رحمه الله - في تفسير « الأصاغر » :

«يعنى أهل البدع ».

وقد ذم أهل العلم الجلوس إلى أهل البدع ، فكيف بتلقي العلم عنهم ؟!

قال الحسن وابن سيرين :

لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، ولا تجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم (٢).

وصح عن عمر أنه ترك رد السلام عليهم .

فعن نافع ، عن ابن عمر :

أنه جاءه رجل ، فقال : إن فلانًا يقرأ عليك السلام ، فقال :

بلغني أنه قد أحدث فإن كان أحدث فلا تقرأ عليه السلام (٣).

وأما النهي عن سماع العلم من المبتدع ، فلإخمال ذكره ، ولتقليل أتباعه ، وللسلامة من شبهاته .

٣ - الحزبية المقيتة :

وإياك - أخي طالب العلم - من داء العصر ألا وهو الحزبية المقيتة ، فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف عباده المؤمنين في كتابه العزيز ، فقال : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : ٢٩] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٨١٥) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٤٤٦ ، ٢٠٤٨٣) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١/ ١٥٨) بسند صحيح .

(٢) أخرجه الدارمي (٤٠١) بسند صحيح .

(٣) أخرجه الدارمي (٣٩٣) بسند صحيح .

وفي طلب العلم تزكية النفس ، وغرس الخشية لله ، وأما التزام الحزبية ، والدعوة إلى عصبية فمفسدة لثمرة العلم .

٤ ـ التهوين من شأن بعض علوم الشرع :

لقد انتشر بين بعض طلاب العلم عادة قبيحة مذمومة ، وهي التهوين من منزلة بعض علوم الشرع ، فإن كان مشتغلا بالحديث ، هَوَّن من أمر الفقه ، أو اللغة ، أو التفسير ، وإن كان مشتغلا بالفقه ، هَوَّن من شأن علم الحديث ، وادعى أن طلابه قليلو العلم بالفقه ، وأنه صنعة المفاليس . . . . .

وهذا لا يصح صدزره عن طالب علم أو مُشتغل به ، فكل علوم الشرع شريفة كريمة ، وإن تباينت في أهميتها وبعضها يكمل بعضاً

قال الغزالي ـ رحمه الله (١) :

« المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة ، إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وأن ذلك نقل محض وسماع ، وهو شأن العجائز ، ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ، ويقول : ذلك فروع ، وهو كلام في حيض النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تُجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلا بعلوم ، فينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة» .

---

(١) « إحياء علوم الدين » : (١/ ٩٦) .

٥ ـ طلب الأغلوطات وما لم يقع من المسائل :

واحذر ـ أخي ـ من طلب الأغلوطات ، وما لم يقع من المسائل .

والأغلوطات :هي شرار المسائل ، والتي تطرح لإعياء المسؤول ، لا لطلب الجواب وإصابة الحق .

قال الإمام الخطابي ـ رحمه الله (١) :

« هي المسألة التي يعيي بها المسؤل ، فيغلط فيها ، كره ﷺ أن يُعترض بها العلماء ، فيغالطوا ليستزلوا ، ويستسقط رأيهم فيها ، يُقال : مسألة غلوط ، إذا كان يغلط فيها » .

قلت : وطالب العلم ينبغي أن تكون نيته إصابة الحق ، لا استزلال العالم وتغليطه .

وأما طلب علم ما لم يقع من المسائل ، فقد ورد النهي عنه ، لما فيه من المفسدة الراجحة .

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال :

نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء (٢) .

ولذلك ورد عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال :

---

(١) « غريب الحديث » : (١/ ٣٥٤) .

(٢) حديث صحيح :

أخرجه مسلم (١/ ٤١) ، والترمذي (٦١٩) ، والنسائي في « المجتبى » : (٤/ ١٢١) ، وفي « الكبرى » (تحفة : ١/ ١٣٥) من طريق : سليمان بن المغيرة ، عن ثابت البناني ، عن أنس به .

إياكم وهذا العضل ، فإنها إذا نزلت بعث الله إليها من يقيمها ويفسرها [١] .

٦ ـ تتبع رخص العلماء :

وإياك ثم إياك أن تتبع الرخص من زلل العلماء ، فإنه من جمع ذلك فقد جمع الشر كله .

وقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :

ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون [٢] .

وقال إمام أهل الشام في عصره وفقيههم أبو عمرو الأوزاعي ـ رحمه الله ـ :

« من أخذ بقول المكيين في المتعة ، والكوفيين في النبيذ ، والمدنيين في الغناء ، والشاميين في عصمة الخلفاء ، فقد جمع الشر » [٣] .

٧ ـ الخصام في مسائل الشرع :

واحذر الخصام والجدال في مسائل الشرع ، فإنها طريقة أهل البدع ، وصاحبها لا يستقر له رأي ، فهو في كل يوم صاحب رأي جديد .

وقد قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ :

« من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل » [٤] .

وعن عمرو بن قيس المُلائي ـ رحمه الله ـ قال ـ :

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ١٤٣) بسند صحيح .
(٢) أخرجه ابن عبد البر (٢/ ١١٠) بسند صحيح .
(٣) « سير أعلام النبلاء » : (٨/ ٨١) .
(٤) أخرجه الآجري في « الشريعة » (ص : ٥٦) بسند صحيح .

قلت للحكم - وهو ابن عتيبة - :

ما اضطر الناس إلى الأهواء ؟

قال : الخصومات (١).

٨ ـ التجرؤ على الفتيا :

ولا تتبرم - أخي طالب العلم - للفتيا والإفادة وأنت ما زلت حدثًا في العلم، فإنه آفة فيه .

وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يود أحدهم لو يكفيه صاحبه الجواب عما يستغني فيه .

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال :

أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ، إذا سُئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه (٢).

٩ ـ ترك العمل بالعلم :

فإنما العلم للعمل ، فإذا ضيع الطالب ثمرة العلم ، لم يكن في حاجة لبذل الجهد في الحصول على هذه الثمرة .

وقد شدد الله تعالى ورسوله ﷺ النكير على من ترك العمل بعلمه ، فقال تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف : ١٧٥-١٧٦] .

---

(١) أخرجه الآجري (ص : ٥٨) بسند صحيح .

(٢) أخرجه الدارمي (١٣٥) ، والآجري في « أخلاق العلماء » (٧٩) ، وابن عبد البر (٢/ ١٦٣) بسند صحيح .

وعن جندب بن عبد الله الجبلي - رضي الله عنه - مرفوعًا :

« مثل العالم الذي يُعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج ، يضيء للناس ، ويحرق نفسه »[1].

كانت هذه أخي طالب العلم بعض محاذير الطلب التي قد تُفسد عليك ثمرة العلم ، وتضيع عليك ثوابه في الآخرة ، فاحرص على اجتنابها ، واحذر من الوقوع فيها ، والله يوفقك إلى ما يحبه ويرضاه .

خاتمة

هذا ؛

وبعد أن انتهينا من استعراض موضوعات هذه التذكرة ، وأبوابها ، ومباحثها ، فلا بد من تذكير نفسي أولا ، وإخواني من طلبة العلم بوجوب إخلاص النية لله تعالى في طلب العلم ، وتنزيهه عن الأهواء الدنيوية ، والأغراض الزائلة ، ثم الالتزام بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه ﷺ ، فإنهما النجاة لطالب النجاة في الدنيا والآخرة .

والله يوفقنا إلى ما يحبه ،ويرضاه ، والحمد لله أولا وآخراً .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) أخرجه الخطيب في « اقتضاء العلم العمل » (٧٠) بسند صحيح .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة